الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات تطبيقية

الموضوع:

تعليمية البلاغة في صحيفة بشر بن المعتمر(ت:210هـ)

إعداد الطالب (ة):
- سمية حجاري .
- مريم بتوي .

إشراف:
د. سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي.

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور(ة)	وهيبة بن حدو	رئيسا
الدكتور(ة)	بدرية ساسي	ممتحنا
الدكتور	سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي	مشرفا مقررا

العام الجامعي: 1443-1444هـ /2022-2023م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

الإهداء:

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء والصلاة والسلام على نبينا خاتم الأنبياء والمرسلين شفيعنا يوم الدين.أما بعد :

نهدي ثمرة مجهودنا إلى اللّذان عجزنا في وصفهما، فمهما قلنا فيهما لا نوافيهما حقيهما، إلى من قال فيهما رب الخلق ﴿ ... وبالوالدين إحسانا﴾، إلى من وضع المولى سبحانه وتعالى الجنة تحت قدميهما ، الأم الحنون، أدام الله صحتهما، إلى ملجأينا من غدر الزمان ، ووسام عزنا وكبريائنا أبوانا العزيزان أدامها الله تاجا فوق رأسنا .

-إلى زوجي قرة عيني وسندي، فقد كان الداعم الأكبر ،شكرا على ثقتك بنجاحي ودفعي نحو الأفضل .

-إلى كل أفراد عائلتينا.

-إلى كل من علمنا حرفا في هذه الدنيا الفانية.

- إلى جميع أساتذتنا الكرام من الطور الابتدائي حتى المرحة الجامعية.

- سمية حجاري.

- مريم بتوي.

كلمة شكر وتقدير:

أول شكر هو لله ربي العالمين الذي أنعم علينا بالعقل وحسن التوكل عليه،وعونه سبحانه وتعالى ونصلي ونسلم على حبيبنا وسيدنا محمد المصطفى الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال تعالى: ﴿...رَبِ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ...﴾ سورة النمل : "19"

تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات، لكتابة كلمة شكر التي نتقدم بها إلى الأستاذ المشرف " سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي"، على كل ما قدمه لنا من معلومات قيمة أسهمت في إثراء موضوع دراستنا من جميع نواحيه المختلفة وتوجيهاته ونصائحه لرسم مسار بحثنا،فقد كان نعم المرشد لنا، له كل الاحترام والتقدير.

ولا تفوتنا أن نتوجه بالشكر إلى جميع أفراد الأسرة الجامعية بداية من زملائنا الطلبة وصولا إلى جميع أساتذتنا الكرام، و الهيئة الإدارية.

إلى كل من منح العون لنا من بعيد أو قريب، بالقليل أو الكثير، ولو بكلمة طيبة أو ابتسامة.

شكرا جزيلا لكم جميعا...

مقدمة:

تبحث هذه الدراسة في تحديد التعليمية في صحيفة بشر بن المعتمر وذلك من خلال عرض وتحليل الأفكار التي أوردت في الصحيفة، أفادت منها العديد من الدراسات نظرا لقيمتها رغم صغر حجمها، وتشتمل على بعض الموضوعات اللغوية والبلاغية في طيات النصائح والإرشادات التي قدمها لطلاب الكتابة الخطابة.

من الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع ميولنا وشغفنا به نظرا لأهمية الموضوع وحداثة دراسته، فالموضوع كان بمثابة تحدي بالنسبة لنا، وكونه يندرج إلى أحد مجالات تخصصنا "لسانيات تطبيقية"، ونظرا لاحتوائه على العديد من القضايا الهامة وغناه بالأفكار التي من شأنها زيادة المعرفة والثقافة .

ويعد موضوع صحيفة بشر بن المعتمر موضوع قديم درس سابقا من قيل الباحثين والعلماء أمثال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، وأبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين من جوانب أخرى وبهذا نحن الأسبق إليه بهاته الدراسة في ربطنا الصحيفة بالتعليمية.

استعنا في دراستنا هذه بجملة من المصادر والمراجع ألمت لنا بحشد من المعلومات تصب في موضوعنا هذا أبرزها: البيان والتبيين للجاحظ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد هاشمي، الخصائص لابن جني، التعريفات للشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسني الجرجاني الحنفي، التربية والتعليم لروبيرد وترانس، وغيرها من المصادر والمراجع الخاصة بموضوع بحثنا.

واجهتنا بعض الصعوبات في بحثنا تمثلت فيما يلي: بداية واجهنا صعوبة في التواصل فيما بيننا كون كل واحدة منا تقيم بولاية مختلفة عن الأخرى وكان الحل لتدليل هذه الصعوبة في التواصل عبر فتح مكالمات طويلة المدى صوت وصورة في موقع تواصلي اجتماعي، وصعوبة التوفيق بين الحياة الشخصية ومسؤولياتها والحياة الدراسية وتجاوزنا هذه الصعوبة في تقسيم وتخصيص وقت للبحث والعمل. وكذا واجهتنا صعوبة في فهم نص الصحيفة وندرة الدراسات التي تناولت هذا

الموضوع، وكان الحل لفك هذه الصعوبة هو تكثيف البحث حول الموضوع، وبالرغم من هذه الصعوبات الواردة أعلاه قد تمكنا من النجاح في إنجاز البحث من خلال رغبتنا القوية لتحقيق هدفنا المنشود.

واعتمدنا في بحثنا هذا على منهج تكاملي، بين المنهج الوصفي حيث اتجهنا لوصف الصحيفة في طيات البحث بذكر بعض جمالياتها، والمنهج التحليلي في تقسيمها إلى أجزاء وتحليلها في فصلي البحث الأول والثاني، مبرزين القضايا التي تطرق إليها بشر في صحيفته، والمنهج التاريخي كونها صحيفة قديمة بحثنا عنها في طيات المصادر.

قسمنا بحثنا إلى خطة تمثلت في: البداية بمقدمة، مدخل "ماهية البلاغة اصطلاحا وتطورا" وفصلين حيث تناولنا في الفصل الأول " المستوى اللغوي للتعليمية في صحيفة بشر بن المعتمر" تضمن هذا الأخير ثلاث مباحث، المبحث الأول " عامل الزمن في تعليمية اللغة"، والمبحث الثاني "التعليمية وصلتها بالظواهر اللغوية"، والمبحث الثالث " أثر اللفظ والمعنى في تعليمية اللغة "، بينما الفصل الثاني عالجنا فيه " المستوى البلاغي للتعليمية في صحيفة بشر بن المعتمر وجمالياتها " اشتمل هو الآخر على أربع مباحث، المبحث الأول " منازل اللغة والكلام في تعليمية البلاغة"، والمبحث الثاني "صلة المتكلمين بتعليمية اللغة والبلاغة "، أما المبحث الثالث فعرضنا فيه " المستحدث من المصطلح اللغوي البلاغي في صلته بالإبداع"، والمبحث الرابع " جماليات صحيفة بشر بن المعتمر"، لننهي بحثنا بخاتمة خطَطْنَا فيها أهم نتائج البحث، قائمة المصادر والمراجع فهرست الموضوعات، ملخص البحث باللغات الثلاث العربية، الفرنسية والإنجليزية.

وسعينا في مادة بحثنا للإجابة على إشكالية مفادها ما هي أسس تعليمية البلاغة في صحيفة بشر بن المعتمر؟ مستهلينه بمدخل تحت عنوان " ماهية البلاغة اصطلاحا وتطورا".

الحمد لله حتى بلغ الحمد منتهاه الذي بنعمته تتم الصالحات، ووهبنا ميزة العقل للتدبر والإدراك به، ونتمنى أن نكون قد وفقنا في تغطية البعض من جزئيات البحث المهمة وبيان أهم

المعلومات المتعلقة بموضوع بحثنا ، على أمل الرقي والنجاح لنيل شهادة الماستر. متقدمين بالشكر الوافر لكل من ساعدنا وساهم في إنجاح بحثنا، ونخص الشكر والتقدير للأستاذ المشرف الفاضل " سيدي عبد الرحيم مولاي البودخيلي "، له منا كل التقدير والاحترام ونتمنى من الله عز وجل أن يمدد خطانا وأن يديم علينا نعمته وعلمه ويحفظنا ويحفظكم جميعا، وأن يكتب لنا التوفيق والنجاح.

سمية حجاري.

مريم بتوي.

في عين يوسف – تلمسان.

ب 15رمضان1444هـ- 06أفريل 2023م.

مدخل:

ماهية البلاغة اصطلاحا و تطورا

تعد البلاغة فن من فنون القول العربي، وهي إضفاء يعطي مصحة جمالية للنص، فالبلاغة في اللغة العربية مشتقة من الفعل الثلاثي الصحيح " بلغ " بمعنى وصل إلى النهاية أو أدرك مبتغاه، يقول ابن منظور في معجمه لسان العرب " رَجُلٌ بَليغٌ وبِلْغٌ حَسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانية كُنْهَ ما في قلبه "[1]، فالبليغ هو الفرد القادر على التأثير والإقناع، وتمكن المتكلم من إيصال المعنى إلى السامع والإفصاح عنه بإيجاز، ومن هنا يمكننا القول أن لفظ البلاغة اللغوية يكمن في الفصاحة وحسن البيان .

أما من الجانب الاصطلاحي فالبلاغة مجموعة من القيم والأسس الجمالية والفنية، التي يمكن من خلالها الحكم على الإنتاج الأدبي من ناحية التمييز والجودة والضعف والرداءة، ويعرفها د.مازن المبارك في قوله: " وكأن الذي يوصل ما في نفسه من الأفكار إلى المخاطب على أتم وجه وأكمل صورة هو البليغ "[2]، فهي تأخذ بالقارئ أو السامع إلى المعنى ما وراء الكلمات والخطوط وصولا للمعنى المقصود كاملا، باستعمال أجمل الصور والألفاظ لتبنيه في أحسن مظاهره، فالبلاغة هي سر جمالية الخطاب، وهي خير وسيلة للتعبير السديد والكلام الجيد، كما أنها أساس التأثير في الآخر إمتاعاً وإقناعاً، بما يتناسب وعقول القارئين والسامعين وشعورهم وذوقهم، فالبلاغة هي أن تجعل لكل مقام مقال، أي تجعل لكل حال قول مناسب له بعبارات فصيحة وواضحة، حيث ارتأى الجاحظ من معاني البلاغة أنه " لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه فلا يكون اللفظ إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك "[3]، أو بعبارة أخرى هي تأدية المعنى الجليل بألفاظ وعبارات صحيحة ومفهومة، ويكون لها أثر في النفس توفي بالمعنى المراد بوضوح وجمال في الأسلوب وتوصله إلى قلب السامع فيدركه. وقبل أن تقنن البلاغة في قالب معين وظهر

1- لسان العرب – ابن منظور.تحقيق نخبة لهم عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، مج:1، دار المعارف، مصر، دت، ص:346.

2- الموجز في تاريخ البلاغة – د. مازن المبارك . دار الفكر ، دمشق – سوريا، دت، ص: 19.

3- البيان والتبيين – الجاحظ . تحقيق: عبد السلام هارون،ج:1، ط:1، مطبعة الخانجى، مصر، 1395هـ\1975م ص:115.

بوصفها علماً، تعتبر تذوق جمالي يوفد في نفوسنا استجابات انفعالية فريدة من نوعها مقتبسةً من الإنتاج الأدبي أو الفني، وهي السبيل المختصر للوصول إلى القلب وذلك بالإبداء عما في النفس بألفاظ ومعاني واضحة، حيث لا يكون الكلام فصيحاً فخماً عذباً إلا ما إذا كان بليغاً.

وقال عبد القادر حسين: "العرب بطبعهم الأصيل وفطرتهم السليمة، اشتهروا منذ العصر الجاهلي بالفصاحة والبلاغة، و التمتع بسلامة الذوق ومعالجته الكلام من اختيار الألفاظ، واجتلاب للمعاني، وملائمة بين اللفظ والمعنى، وحسن التركيب، وجادة التصوير، ووصف البديع، كما اشتهروا بالبعد عن فضول القول، الحشو، و الإسهاب، وبكل ما يزري من شانهم"[1]، إضافة إلى اختيار الألفاظ الدقيقة والبعيدة عن التعقيد، إلا أن العرب في هذه الفترة لم تكتسب هذه الفنون والمهارات من علم درسوه، إنما جاءت من فطرتهم التي نشئو عليها، من صفاء الذات وقوة الطبع، ووحدة العاطفة، فاتسمت بذوق فني فريد من نوعه فيه تمييز ونقد ومعرفة جيد الكلام من رديئه، وقد نَعَتَ القرآن الكريم العرب في الجاهلية بأنهم أصحاب البيان في قوله تعالى:﴿ الرَحْمَنُ عَلَمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَمَهُ البَيَانَ ﴾[2]، وقال أيضا في كلامهم اللَّبِق وشدة تأثيره في النفوس:﴿وَمِنَ النَاسِ مَنْ يُعْجِبَكَ قَوْلُهُ فِي حَيَاةِ الدُنْيَا ﴾ [3] .

والبلاغة في هذا العصر تمثلت في الصورة البيانية التي كان الشاعر يعرضها في نسيج شعره وتحكيم الشعراء في الأسواق، كسوق " عكاظ " الذي يعتبر أحسن مجمع للشعراء تم فيه عرض نتاجهم الشعري، حيث لعب دورا هاما في انتشار وشيوع فن البلاغة، فهم يقيمون الشاعر والأديب طبقا لعظمة أسلوبه وإحكام البلاغة، في جعل القبائل تتباهى وتفتخر بشعرائها في العصر الجاهلي وحتى العصور التي عقبته، كعصر صدر الإسلام الذي بلغ فيه العرب مرتبة مرموقة في البلاغة، إذ نزل القرآن الكريم بلغتهم وليس بغيرها وهذا شرف لهم، فانبهروا بمتانة نضمه وجمال ألفاظه، وبهذا كان

1- فن البلاغة – د. عبد القادر حسين. دار غريب، القاهرة، 2006م، ص:3.

2- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع. سورة الرحمن، آية 1-4.

3-سورة البقرة: الآية 202.

أشرف منزلة من حيث البلاغة والفصاحة، كما تيقنوا أنه قول جبّار قادر ليس له مثيل، وغيره من العصور حتى صار الشاعر لسان قبيلته، وأصبحت القبيلة التي لا تملك شاعرا قبيلة ضعيفة بالنظر إلى القبائل التي لها شعراء مجدون.

ولعل من المسلم أن البلاغة لم توجد علما قائما بذاته، ذا قواعد وقوانين دفعة واحدة، ولم تكن حصيلة لجهد عالم من العلماء، في فترة من الزمن، بل هذا العلم يعد ثمرة جهود العديد من العلماء، على مر الزمن، رغم اختلاف ثقافاتهم، وتعدد مناهجهم، إلا أنهم جميعا شاركوا في بناء هذا العلم. وكان ظهور البلاغة في بادئ الأمر كملاحظات، أي أنها كانت طرق في الأداء الفني فطري بحيث أنها مرت خلال هذه الفترة بمراحل من الصعب تحديد بداية ونهاية كل مرحلة بشكل واضح هذا ما أدى إلى تداخل بعضها في بعض، ورغم هذا التداخل إلا انه تبقى لكل مرحلة من المراحل مميزاتها ونتاجها العلمي الخاص بها، ونوجز هذه المراحل كالتالي:

1 – مرحلة النشأة على هامش العلوم:

قال علي عشري زايد: "في المرحلة الأولى لم يكن للبلاغة العربية ملامح محددة تتمثل في مباحث وقضايا مستقلة متكاملة، وإنما كانت مجرد ملاحظات متناثرة على هامش العلوم التي سبقتها إلى النشأة، وأفكار مبعثرة في ثنايا تلك العلوم"[1]، بمعنى أنه لم تكن البلاغة بارزة وظاهرة ولم تكن عبارة عن قضايا ودروس كما هي الآن، بل كانت عبارة عن أفكار مشتتة داخل مصنفات العلوم الأخرى التي نشأت قبلها من نحو ونقد وغيره، والتي لم تكن بدورها قد تبلورت إلى النحو النهائي لها.

2– مرحلة التكامل المشترك:

1– البلاغة العربية: تاريخها، مصدرها، منهجها – د. علي عشري زايد. مكتبة الشباب، مصر، 1982، ص: 10.

وقال أيضا: " أما في المرحلة الثانية فإن ملامح البلاغة ابتدأت في التبلور والتحدد حيث أخذت هذه الملاحظات المتناثرة في المرحلة الأولى تنمو وتنضج، وابتدأت تلك الأفكار المبعثرة في ثنايا الكتب تلتئم وتتلاحم لتصبح مباحث وفصول متكاملة، وإن كانت هذه المباحث والفصول لم تستقل بمؤلفات وكتب خاصة وإنما ظلت مختلطة في مؤلفات تلك المرحلة بالمباحث والفصول الخاصة بالعلوم الأخرى"[1]، ومن بينها علم النقد وهذا ما ورد في صحيفة بشر بن المعتمر (ت:210هـ)، حيث لا يذكر بشر بن المعتمر في تراث العربي، إلا وتذكر معه صحيفته التي صقل فيها سبل القول وبلاغته، لجميع من يرغب أن يكون أديبا أو كاتبا.

قال الجاحظ:" فمر بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب، وهو يعلم فتيانه الخطابة، فوقف بشر فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظارة[2] فقال بشر:" اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا"، ثم دفع إليهم صحيفته من تحبيره[3] وتنميقه[4]".[5]

ويقصد بشر بقوله "اضربوا عما قال صفحا " أي ابتعدوا عما قاله، يقال ضرب عنه صفحا في اللغة العربية أي تركه وتجنبه وأبعده، فالصفح هو من أعظم أنواع الإعراض، لتضمنه على ترك السمع والنظر، أما في الجزء الثاني من قوله "واطووا عنه كشحا " يقال في اللغة أطوى كشحه عنه أي قاطعه وتفرق عنه، ذهب.

1- البلاغة العربية: تاريخها، مصدرها، مناهجها – علي عشري زايد. ص:10.

2- النظارة: الفراسة و الحذق. و-حرفة الناظر.من معجم الوسيط- مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار). ج:1، ط:4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1439هـ\2008م،ص:932.

3- تحبير الكلام: تحسينه وتزيينه.من معجم الغني – عبد الغاني أبو العزم. 23 مارس 2020م، موقع: المكتبة الشاملة، رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: 3083، https:shamela.org ، ص: 364.

4- تنميق: {ن،م،ق}(مص. نمق) له قدرة على تنميق الصور أي على تزيينها وتلوينها "يسعى إلى تنميق كلامه" ، معجم الغني ، ص:537.

5- البيان والتبيين – الجاحظ .ص:135.

وتعد صحيفة بشر من أوائل الآثار الواردة في توجيه الناشئة وتعليمهم أساليب الكتابة والخطابة المتعددة وترشدهم إلى أبسط الطرق لإتقانها، وهي مدونة جامعة بين عدد من الأفكار والقضايا النقدية والبلاغية دونت في قرطاس ولم تلقى في خطبة أو إملاء، مما يشير إلى ذلك نعتها على أنها صحيفة، ألقيت على الفتية في حلقة التعليم.

ومن المصادر التي عرضت إلى صحيفة بشر بن المعتمر كتابين مشهورين، أولهما: كتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت: 255هـ) أوردها في باب "ذكر الناس من البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء " وقد بدت وكأنها في البلاغة فحسب. أما ثانيهما: فهو كتاب الصناعتين الأبي هلال العسكري (ت:395هـ) حيث ذكر نص الصحيفة كاملة في الباب الثالث " في معرفة صنعة الكلام وترتيب الألفاظ " وكذا الفصل الأول عنوانه " في كيفية نظم الكلام "، إضافة إلى كتاب العمدة الأبي علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني (ت:456هـ) في "باب عمل الشعر وشحذ القريحة له".

وترتكز صحيفة بشر بن المعتمر على تعليمية [1] العديد من القضايا اللغوية البلاغية والتي سنخصها بالدراسة الموالية.

1 – التعليمية: أو ما يعرف بعلم التدريس (الديداكتيك)، هي علم من علوم التربية له قواعد وأسس موضوعية وعلمية تعليمية، والتعليمية تقدم المعلومات الضرورية للتخطيط و يرتبط أساسها بالمواد الدراسية من حيث المحتوى المعرفي وفق الأهداف المنشودة.

الفصل الأول:

المستوى اللّغوي للتعليمية في صحيفة بشر بن المعتمر.

- عامل الزمن في تعليمية اللغة.
- التعليمية وصلتها بالظواهر اللغوية.
- أثر اللفظ والمعنى في تعليمية اللغة .

في هذا الفصل اتجهنا بدراستنا إلى المستوى اللّغوي في صحيفة بشر بن المعتمر (ت:210هـ) من خلال ما يلي:

المبحث الأول: عامل الزمن في تعليمية اللغة.

يعتبر وقت التعلم أهم ما في حياة الإنسان، حيث إنه أثمن وأغلى من المال، ولعظم الوقت وأهميته، عن ابن عباس رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ "[1]، وقال أيضا لرجل يعضه:"اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك" [2]، وهذا نظرا لأهمية الوقت في التعلم فكل دقيقة أو لحظة إن ذهبت فلن تعود أبدا.

يستهل بشر بن المعتمر صحيفته بقوله: "خذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك وإجابتها إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرًا، و أشرفُ حسبًا وأحسنُ في الأسماع وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عين وغرة، من لفظ شريف ومعنى بديع، وأعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكدّ والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة"[3]، ففي هذا النص تحدث بشر فيه عن البواعث الأولية للتعلم، نستطيع أن نسميها بنفاسة الوقت في صلته بالنفس البشرية المتعلمة، وهذا بالنظر إلى التعليمية في الصحيفة، حيث قال بشر "خذ" وهذا فعل أمر غرضه النصح والإرشاد، لأن المقام هنا مقام تربية وتوجيه وتعليم، والأمر هنا هو طلب أداء الفعل على وجه اللزوم .

1- مختصر صحيح البخاري- د.سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري.رقم الحديث: 2162، باب ما جاء في الرقاق وأنه لا عيش إلا عيش الآخرة، ط\1، دار اشبيليا، الرياض- السعودية،1423هـ\2002م، ص:686.

2- صحيح الترغيب والترهيب- محمد ناصر الدين الألباني، رقم الحديث: 3355 ، باب الترغيب في ذكر الموت وقصر الأمل والمبادرة بالعمل وفضل طول العمر لمن حسن عمله، والنهي عن تمني الموت ،ج:3، ط\1، مكتبة المعارف، الرياض- السعودية، 1421هـ\2000م، ص:311.

3- البيان والتبيين – الجاحظ. ص:135-136.

وعبارة "خذ من نفسك " فيها دليل على جهاد النفس، فينبغي للإنسان أن يجهد نفسه في طلب العلم وأن يدفعها إليه دفعا، لأن العلم من أعظم المنازل التي يسعى إليها الإنسان، وورد أن الأخذ لا يكون إلا بالقوة في قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1].

وقوله: "من نفسك " فيها دلالة على أن النفس لا تمنحك كل ما تريد وفي جميع الأوقات فاجعل طلبك لأجل ما تود في أعظم ما تعطيك وهو نشاطها، فأعظم وقت تمنحك فيه النفس وتفتح لك أبواب التعلم هو الوقت الذي تنشط فيه، فينبغي للمتعلم أن يستغل هذه الفترة من الوقت ونشاط النفس معا في التعلم.

ثم قال "وفراغ بالك " الذي يعتبر كنز حقيقي ونعمة لا يعوضها شيء، وهي تدل في مفهومها على خلو حياة الإنسان من المشكلات التي تتسبب في إحساسه بالحزن، والهم ونَكْدِ أيامه، مع التفكير الزائد الذي لا نفع منه، بحيث تجعل حياة هذا الشخص تنقلب رأسًا على عقب. وفراغ البال يشير إلى صفاء الذهن من أي أفكار تخص أحوال وشؤون الحياة وطلباتها التي لا تنتهي وتشير إلى شعور الفرد بالسكينة والطمأنينة بشكل دائم، وهذا يساعد على الاكتساب والتعلم كما يساعد نشاط الجسم على ذلك.

وقول بشر "خذ من نفسك ساعة نشاطك" توحي أن أغلب ساعات النفس خمول وكسل وأقلها نشاط، ولا تتحقق إجابتها إياك إلا في تلك الساعة، فلا ينبغي على المتعلم أن يستهين بها ويتهاون في استغلالها إيجابا.

وقوله "إجابتها إياك" يوحي على أن النفس تستجيب، فالنفس كالطفل تقبل وتدبر تستجيب وترفض، وحين تقبل يكون للمتعلم القدرة على الاكتساب الجيد، والقدرة هنا "هي استعداد بنشاط

1- سورة هود :الآية 102 .

أو أداء مهمة، وأنها لا تكون حقيقية فعلية إلا إذا كانت متينة تتطور بالتجربة وبمظاهر التعلم الخاصة".[1] وإذا تمعنا في قول بشر فنجد أنه بدأ صحيفته وهو يؤكد على أمرين هما:

نشاط النفس المتعلمة:

بحيث لا يصح الوصول إلى التعلم والإدراك من دونها والمقصود بنشاط النفس هنا هو إمتاعها ولتصل النفس المتعلمة إلى ذروة نشاطها وجب على المتعلم أن:

✓ يكون له دافع من تعليمه هذا فالبواعث هي جملة من المشاعر والأحاسيس التي تدفع المتعلم إلى الانضمام لنشاطات التعلم التي توصله إلى الأهداف المنشودة.

✓ الابتعاد عن كل ما يعكر صفاء ذهنه ويشتت انتباهه من مشاكل ضغوطات خارجية حيث يرى كلارك هول في نظريته السلوكية الجديدة أن: "الكف الخارجي للاستجابة (التشتيت) نتيجة تداخل المنبهات Afférent interaction، أو الإعاقة الخارجية حيث يحدث أن يتصادف المثير الشرطي وقت وصوله للجهاز العصبي المركزي مثيرات أخرى من مناطق مختلفة من الحواس فيتأثر بها ويؤثر فيها وينتج من ذلك إضعاف هذا المثير على إحداث الاستجابة المطلوبة."[2]

✓ يحصل على أوقات نوم كافية، وهذا حسب عدد الساعات التي تستوجبها فئته العمرية، وذلك كي يستطيع الدراسة بشكل جيد وفعال دون الشعور بالأرق والإرهاق بسبب قلة النوم، فالنوم الجيد والكافي ينشط الذاكرة ويساعد الدماغ على حفظ المعلومات في الذاكرة الدائمة وترتيبها .

✓ يجب على المتعلم الاهتمام بنظامه الغذائي حيث إن للتغذية دور هام في زيادة التحصيل الدراسي مع تعزيز صحة الذاكرة، لهذا وجب عليه عدم إهمالها وخصوصا وجبة الإفطار فهي تساعد على زيادة نسبة التركيز عنده وتحسن لأدائه الدراسي، مما يزيد في كفأته وتحصيله

1 - الوافي في التدريس (سلسلة المربي1) –بن دريدي فوزي. دار الهدى، الجزائر،دت، ص:28.

2- نظريات التعلم السلوكية– علي راجح بركات. 20 يناير 2004، موقع: مكتبة النور، www.noor-book.com ص 35.

العلمي، فإن سوء التغذية يجعل المتعلم يحس بالصداع والدوران وبذلك عدم التركيز في استيعاب الدرس وحل الواجبات، وهذا له تأثير سلبي على عملية التعلم.

وبذلك يمكن القول إن صحة عقل المتعلم تكمن في صحة بدنه، فإن صيانة العقل تكون بتنمية الجسد، يقول جون جاك روسو " هل تريد تثقيف عقل التلميذ، إذن اعتن بالقوى التي ينبغي أن يحكمها هذا العقل، مرن جسده باستمرار، و اجعله قويًا سليم البنية، لتجعله عاقلًا وحكيمًا".[1]

أهمية الوقت في التعلم وحسن اختياره:

يرى بشر بن المعتمر أن الوقت المناسب للتعلم مرتبط بنشاط النفس وفراغ البال حيث لا يصح الفصل بينهما، فالوقت عند بشر هنا ليس المقصود منه الوقت الزمني بل هو الوقت العملي والقيمة فيه للتحصيل والعمل، وليس لطوله أو قصره، أو قلة الجهد وكثرته، فربما ساعة تعلم واحدة أعطته معرفة واكتساب أكثر مما يعطيه يوم تعلم كامل وهذا تحصيل لقوله " فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرًا، وأشرفُ حسبًا وأحسنُ في الأسماع وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ وأجلب لكل عين وغرة، من لفظ شريف ومعنى بديع، وأعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكدّ والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة".

وفي قوله: " وأشرفُ حسبًا وأحسنُ في الأسماع وأحلى في الصدور، وأسلم من فاحش الخطأ وأجلب لكل عين وغرة"، يقصد منها بشر إذا منحت الفائض من العلم في قليل تلك الساعة، وكان بينك وبين ما تدرس نسب ومحبة وألفى، وجدت ذلك حسن في السمع وشعرت بحلاوته في قلبك أو صدرك فقطعا ستسلم وتبرأ من فاحش الخطأ.

وفي قوله: " وأعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكدّ والمطاولة والمجاهدة"، و"أعلم" هنا أسلوب أدبي يستخدمه الكتاب ليس معناه أنك على جهل وإنما يعني زد علما على علمك، "أن ذلك " ذلك اسم إشارة للبعيد، فكثير من الأشخاص لا ينتبهون إلى الوقت

1- التربية التعليم – روبير دوترانس. مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1966م، ص: 370

كيف يمر فلا يستغل نشاط الجسد وفراغ البال، وفي قوله:" أجدى عليك " أي أنفع لك مما يمنحه لك نهارك الطويل المليء بالمشقة والمجاهدة.

وهنا نصل إلى نهاية دراسة المبحث الأول"عامل الزمن في تعليمية اللغة " لننتقل بعده إلى دراسة المبحث الثاني "التعليمية وصلتها بالظواهر اللغوية".

المبحث الثاني: التعليمية وصلتها بالظواهر اللغوية:

العلم زينة الإنسان ومظهر من مظاهر الرقي، فهو الضوء الذي ينير دروب الحياة ويخرج الإنسان من عتمة الظلام والجهل، حيث شرف الله عز وجل العلم وأهله، وجعل العلماء خليفة الأنبياء ومنارة يهدى بهم، فأكرمهم بالتمكين والسمو، وأمرنا ديننا الإسلام الاهتمام بالعلم، وأجل الله تعالى مرتبة المتعلمين في قوله :﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [1] فالعلم تعظيم وقداسة ينالها كل من ظفر به.

فضرورة الإنسان للتعلم ماسة فهي أنجع طريقة لتيسير العيش، كما أن التعلم يعد عامل أساسي لتقدم الأمم والحضارات وازدهارها، فما سادة أمة عن أخرى إلا بالعلم، حيث إن للتعلم دور كبير في تفتح العقل، الزيادة في الحصيلة المعرفية، تنمية المهارات وتطور القيم الروحية فيصقل شخصية الفرد ويمنحه الفطنة والذكاء لمواجهة كل ما يعترض سبل حياته ويعزز أيضا ثقته بنفسه كما يضمن التعلم للفرد اكتساب اللغة مع حسن استعمالها، فهي وسيلة تواصلية وتبليغية هامة، من خلالها يبدع المتعلم بالتعبير عما في داخله، فأفكار الإنسان ومشاعره تصاغ دوما في قالب لغوي تتطور من خلالها قدرته على الإبداع في إنتاج الأفكار والخطابات وهذا بتجنب بعض الظواهر اللغوية التي تغير معالم المعنى المقصود، وفي هذا السياق يدلي بشر بنص قوله:"و أخطاك لم يخطأك أن تكون مقبولا قصدا، وخفيفا على اللسان سهلا، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه، وإياك والتوعُرَ، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، وليشين ألفاظك "[2]، فهو يشير تلك الظواهر اللغوية، ويحث على الابتعاد عنها، في قوله "ومهما أخطاك لم يخطأك أن يكون مقبولاً قصدًا "في هذه العبارة ينبه المتعلم من الوقوع في اللّحن، واللّحن في اللغة العربية من لَحَنَ "اللام و الحاء والنون له بناء أن يدل أحدهما على إمالة الشيء من جهاته ويدل الآخر على الفطنة والذكاء"

1- سورة المجادلة: الآية 11.

- البيان والتبيين –الجاحظ. ص:2.136

[1]، واللحن هو كل ما لا يتفق مع النطق السليم والإعراب والصرف والنحو، فهو الميل عن الظاهر والخطأ وهو ميل بالكلام عن المألوف، ويعرف في الغالب على أنه إخلال في الإعراب وتخلي عن الصواب، ويضع الباحثون أربعة دواعي رئيسية أدت إلى وقوع ظاهرة اللحن في اللغة لهي:

- ✓ امتزاج العرب بغيرهم من العجم .
- ✓ استخدام غير العرب علم اللغة العربية و نحوها والرواية.
- ✓ التغافل عن التنقيط والتشكيل.
- ✓ الاختلاف في نطق الحروف من جيل إلى آخر ومن شعب إلى شعب.

وذلك يمكننا القول إن اللحن يعد عيبا لسانيا، يعمل على"تحريف الكلام عن قواعد الصرف والنحو، كما يقوم على مخالفة النطق الفصيح واللفظ السليم "[2]، وفي هذا التعريف يحتبس مفهوم اللحن في الميل عن الصواب، إلى الخطأ في النطق والكتابة، وعدم التقيد بقواعد الصرف والنحو وبالرغم من ذلك فإن مصطلح اللحن يطلق في أغلب حالاته على الأخطاء النحوية الإعرابية أكثر من اللغوية والصرفية، فاللحن هو مخالفة وجه الصواب في جميع قواعد اللغة، إن كان عن جهلاً بالقواعد فهو اللّحن القبيح المذموم، وإن كان عن زلة لسان فهو غير مذموم لأنه سرعان ما يُتَدارك في الغالب، ولا يوشك أن يسلم منه أحد وهو الذي سبق الإشارة إليه من ضمن قول بشر بن المعتمر.

وفي قوله "خفيفا على اللسان سهلا " يحث هنا بشر على انتقاء الألفاظ السهلة وانسجامها فالانسجام أو السهولة "هو سلامة الألفاظ، وسهولة المعاني مع جزالتها وتناسبها"[3]حيث أنها

1- مقاييس اللغة – أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا.تحقيق: عبد السلام هارون، مج:5، ط\1، دار الجيل بيروت 1411هـ\1991م، ص:239.

2- المفصل في علوم اللغة (اللسانيات)- محمد التونجي والراجي الأسمر .تحقيق: إميل يعقوب،ج:1، ط\1، دار الكتب العلمية ، بيروت،2001م، ص:497.

3- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع- أحمد هاشمي. دار الفكر، بيروت- لبنان، دت، ص:356.

اِلتماس أسهل السبل للوصول إلى المعنى المراد، فبالسهولة والرشاقة في الألفاظ مع سلامتها يكون الإبداع أو التعبير بسيطًا عذبًا مفهومًا، وبهذا يكون له وقع واستجابة في نفوس الآخرين، فالسهولة تولد لذا المتلقي أو السامع معرفة وفهم، وبهذا تمنحه القدرة للوصول إلى مقاصد المتكلم أو الكاتب.

وفي قوله "إياك و التوعر " هنا استعمل بشر أسلوب تحذير، فالتوعر هو الصعوبة في اللغة، ومنه ينبه بشر على أمر مكروه ومذموم في البلاغة العربية الذي يجب على الكاتب المبدع أن يتجنبه وأن يحذره وهو التعقيد، ويتضح ذلك في قوله "فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد"، ويرد معنى التعقيد في اللغة هو أن"يكون الكلام مغلقا لا يظهر معناه بسهولة"[1] وهو أن يكون اللفظ واضح في دلالته على المعنى المقصود، ومعلوم أن التعقيد والإبهام لهما نفس المعنى، فيقال كلام مبهم ومعقد أي أنه لا يستبين.

ويرجع سبب تحذير بشر منه إلى منعه لوصول المعنى إلى قلب السامع، أي أنه يعرقل الوصول إلى الغاية والهدف الذي كان من أجله التعبير أو الإبداع، والمتعلم المبدع مكلف بهذه الغاية في أداء هذه الوظيفة لهي تبليغ المعنى المراد، والنص المعقد من أسوء أنواع النصوص لأنه يغلق على السامع أبواب المعرفة والفهم، والتعقيد نوعان هما: الأول هو الغموض من جهة اللفظ، وهو أن يكون تتابع الألفاظ لا يوافق تتابع المعاني، فيختل نظم الكلام بحيث لا يعرف السامع السبيل للوصول إلى معناه، وهو المعروف بالتعقيد اللفظي، ويرجع السبب في ذلك للحذف والفصل أو التقديم والتأخير. أما النوع الثاني للتعقيد فهو الخفاء من ناحية المعنى بسبب استخدام مجازات وكنايات لا يفهم المراد بها، والسبب وجود صعوبة في انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ إلى المعنى الثاني المقصود، وعند بشر التعقيد يستهلك المعاني ويشين الألفاظ، حيث يقول "والتعقيد هو الذي

1- التعريفات- الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسني الجرجاني الحنفي. تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2020م، ص:66.

يستهلك معانيك ويشين ألفاظك" ويقصد بعبارة "يستهلك معانيك " أي يضعفها، ويهجنها، وعبارة "يشين ألفاظك " بمعنى يعيبها ويفسدها ويقبحها.

ومن هنا نصل إلى ختام دراسة المبحث الثاني "التعليمية وصلتها بالظواهر اللغوية" لننتقل بعدها إلى مبحث ثالث بعنوان " أثر اللفظ والمعنى في تعليمية اللغة ".

المبحث الثالث:أثر اللفظ والمعنى في تعليمية اللغة .

تعد قضية اللفظ والمعنى قضية فريدة من نوعها، أسالت الكثير من المداد، وشغلت اهتمام العديد من النقاد والبلاغيين العرب، وذلك لما نشأ حولها تضارب وجهات النظر، وانقسم هؤلاء إلى ثلاث طوائف فمنهم من انحاز للفظ واحتجوا له، ومنهم من تشدد للمعنى حيث دعوا للاهتمام به على حساب اللفظ، وثالثهما أنصار المساواة، فهم على مذهب الوسط يحاولون التوفيق بين الرأيين الأول والثاني معا بالمزاوجة بين اللفظ والمعنى، وكل هذا سعيا في تقويم العمل الأدبي ومنح النص قيمته الفنية.

فمفهوم اللفظ في اللغة "ما يتلفظ به الإنسان أو في حكمه مهملاً كان أو مستعملاً "[1] فالمفهوم اللغوي للفظ يدور حول ما يتلفظ به الإنسان من القول وكلام، أما في الاصطلاح فهو الصوت الوارد من فم الإنسان يتضمن مجموعة من الحروف سواء يكون دال على معنى أو غير دال، ويطلق مصطلح اللفظ على الكلمة أو العبارة أو القول .

ومصطلح المعنى في اللغة هو"ما يقصد بالشيء"[2]، وفي الاصطلاح فهو المفهوم المقصود من اللفظ أو من الشيء عموماً، وهو الصورة الذهنية للفظ أي مدلوله وماهيته، وفي هذه القضية أورد بشر بن المعتمر في تعليمه للفتية صلة اللفظ بالمعنى في صحيفته بقوله:"من أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف، اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عمّا يفسدهما ويهجّنهما، وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالاً، منك قبل أن تلمس إظهارهما وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما"[3]

1- تعريفات- السيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسني الجرجاني الحنفي. تحقيق: محمد باسل عيون سود ص: 193.

2- (م.ن): ص:218.

3- البيان والتبيين-الجاحظ. ص:136.

"من أراغ " أتت هنا بمعنى من أراد وطلب."معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً" فإن المعنى الكريم يحتاج ويتطلب اللفظ الكريم والعكس صحيح.

وفي عبارة "من حقهما أن تصونهما عمّا يفسدهما ويهجّنهما"، فالصيانة هنا فهي بمثابة تعهد بحفظهما وعنايتهما وإصلاحهما، حيث إن للفظ والمعنى حق على المبدع أن يسعى لحفظهما وإصلاحهما عما يفسدهما ويهجنهما أي يقبحهما، ثم قال "وعمّا تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلمس إظهارهما وترهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما"، حيث يبين لنا في هذه العبارة الأثر النفسي لمن لا يقم بحق اللفظ والمعنى فسيكون حاله من أسوأ الأحوال، ويظهر من هذا أن وصول المعنى ليس بالأمر السهل والهين على المبدع، لأنه يحتاج فيه إلى مراعاة حق اللفظ والمعنى معا.

ويتضح لنا من هنا أنه اهتم بقضية اللفظ والمعنى، وهو يدعوا إلى المناسبة والمطابقة بينهما، وأنهما لا يتجزءان، فسر البلاغة عنده راجع إلى روعة المعنى وتأثيره إلى جانب جزالة اللفظ وقوته، حيث يكون استحسان أحد الجانبين وإعطائه أولوية على آخر بمثابة إتلاف وتبشيع لعملية التعبير نفسها، والجاحظ يؤكد هذا أيضا، ويتخذ المبدأ نفسه في المشاكلة بينهما، والحق إنه جعل المعنى واللفظ بنفس مستوى الروح والجسد لا ينفصلان في الحقيقة أبدًا، يتبين ذلك في قوله "الأسماء في معنى الأبدان والمعاني الأرواح، واللفظ للمعنى بدن، والمعنى للفظ روح"[1]، وهذا مما يؤكد أن اللفظ والمعنى بمثابة مرتبة واحدة عند الجاحظ. ويجب التنبيه هنا إلى أمر يتعلق بقضية اللفظ والمعنى عند الجاحظ وهو أن بعض الباحثين اعتبروا أن الجاحظ من أنصار اللفظ وحجتهم في ذلك ترجع إلى عبارته المشهورة التي قال فيها :" المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، والمدني، إنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي

1- رسائل الجاحظ – الجاحظ. تحقيق:محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص: 100.

صحة الطبع وجودة السُبْكِ"[1]، وهذه المقولة قد فهمت في الحقيقة فهمًا خطئًا ألا وهو أنها أتت لإعلاء للفظ وإزراء للمعنى وفي الحقيقة أن هذه المقولة جاء بها الجاحظ للرد على أبي عمر الشيباني رافدًا استحسانه للمعاني ورفضه هذا كان بمثابة رد الاعتبار للسبك والصياغة، والجاحظ ببلاغه أن المعاني غير محدودة في مقابل أن الألفاظ محدودة، لا يقصد إدناء المعاني وطعنها، فإذ أمعنا النظر في قوله:"المعاني مطروحة في الطريق" يتبين لنا أنه استعملها كناية على أن المعاني غير محدودة ولا متناهية واتساعها. والمقولة ككل أوردت بصدد الحديث عن الصياغة البنائية في الشعر لتحقيق الجمالية في اللغة.كما أشار إلى أن القدر هنا في إقامة الوزن وحسن اختيار اللفظ وسهولة المخرج وهذا بسلامة النطق، أي خروج هذه الألفاظ عن طبع من غير أي تكلف.

ونجد محمد بن قتيبة (ت:276هـ) فهو يكافئ بين اللفظ والمعنى وجاء بمثابة امتداد لما أتى به الجاحظ، حيث وافقه في رأيه، ويذهب إلى أن الجمع بينهما يعد مقياساً في البلاغة، ومكيالا للقيمة الفنية، يتضح ذلك في قوله "أدرك لُحْمَةَ المعنى واللفظ في إطار الصياغة الواحدة"[2]، وانطلاقاً من قضية اللفظ والمعنى، أقر أن الشعر ينحط بانحطاطهما، ويسمو تبعاً لهما، وفي هذا النحو صنف الشعر في كتابه الشعر والشعراء إلى أربعة أقسام لا تجيز العلاقة المنطقية في وجهة نظره بأكثر منها لهي:

- "ضرب منه حَسُنَ لفظه وجاد معناه.
- ضرب منه حسن لفظه وحلاَ، فإذ أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى.
- ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه.

1- الحيوان – الجاحظ. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ج:3، ط\3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1969م ص:131-132.

2- اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب – د.الأخضر جمعي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا،2001م، ص:60.

- ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه."[1]

فعد ابن قتيبة كلا من اللفظ والمعنى يتعرضان معا للقبح والجودة، فلا مزية لطرف على آخر ولا أولوية لقسم على قسم، فيكون كلاهما حسن، أو يتساويان في درجة القبح، أو يفترقان.

ونلحظ في هذا الاتجاه أيضا ابن رشيق القيرواني (ت:456هـ) فقد عد اللفظ والمعنى شيء واحد متكامل، بحيث لا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الأحوال، فجعلهما متحدان كإتحاد الروح بالجسد، ويرى أن ضعف أحدهما يحتم ضعف الأخر، فاختلال اللفظ يؤدي إلى اختلال المعنى والعكس صحيح، وهذا من خلال قوله "اللفظ جسد وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسد يضعف بضعفه وبقوى بقوته"[2]، فالصورة أو المعنى عند ابن رشيق لا تكون خصبة التخطيط ولا واضحة الرؤية إلا ما إذ عنيت باللفظ، في جعله الطرف الدال على المعنى المنشود وهذا طبقا للصلة الوشيجة بينهما، وهو لم يصرح يشكل واضح بمزج اللفظ والمعنى في قالب واحد ولكنه لمح إلى مدى التلاؤم بينهما.

أما المبرد في كتابه الكامل (ت:286هـ) يظهر في حديثه قضية اللفظ والمعنى رأيه التوفيقي بينهما، حيث اعتبرهما وجهان لعملة واحدة، لا يحسن التفريق بينهما .

وعبد القاهر الجرجاني (ت:471هـ) في دراسته لمسالة اللفظ والمعنى في بادئ الأمر تطرق لدراسة آراء من سبقوه لهذه النظرية، بعد أن أحس وجود خطر على البلاغة ومستقبلها نتيجة تشدد الطوائف، حيث أبرز موقف كل من أنصار اللفظ وأنصار المعنى، معبرا عن رفضه لما انجذب إليه كل طرف، أي رفض فكرة إيثار أحدهما على الآخر، متجاوزا إياهم إلى رأي خاص، هذا ما أدى به إلى تبني تصور جديد يعرف بنظرية النظم عنده. حيث كشف من خلالها موقفه من قضية اللفظ والمعنى. فنظرية النظم عنده تقوم على أساس ترابط والانسجام والمساواة يبن اللفظ والمعنى مع وفاء

1- الشعر والشعراء – ابن قتيبة الدِّينَورِي .ط\6، دار إحياء العلوم، بيروت-لبنان ،1997م، ص:907.

2- العمدة – ابن رشيق القيرواني. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج:1، دار الجيل ، بيروت، 1401هـ\1981م ص:124.

المعاني النحوية بما يناسبها مع مقام الكلام ومقاصده، وقد ارتأى أن أي تبديل وتغيير في الألفاظ يصاحبه تغيير في المعنى.

ويعرف النظم على أنه تنسيق دلالة اللفظ وتلاقي معانيها، فبرز طريقة تصوير المعاني على حقيقتها ودور اللفظ وقيمته في النظم، ثم ضمّ بينهما فسوى خصائصهما، والنظم أيضا يعتمد على دقة التصوير مع حسن الصياغة. وبهذا قضى على فكرة الفصل بين اللفظ والمعنى التي شغلت البلاغيين قبله، ويتهيأ للبعض أن عبد القاهر الجرجاني من أنصار المعنى على حساب اللفظ وهذا لتهجمه ومعارضته للمقرين بأولوية اللفظ، ولكن في حقيقة الأمر أن عبد القاهر في ذلك لا ينصر للمعنى، وإنما هو تدليل على مفهوم الصورة عنده بالنظم وتفنيد لآراء القوم.

أما من ناحية أخرى نجد أنصار اللفظ أمثال أبو هلال العسكري، علي عبد العزيز الجرجاني وابن خلدون، حيث إنهم أعطوا اهتماماً كبيراً للألفاظ على حساب المعاني، واعتبروا اللفظ الحامل الأساسي والرئيسي للمعنى، فلولاه لفقد المعنى قيمته.

فأبو هلال العسكري (ت:394هـ) في وقفته على مسالة اللفظ والمعنى انحاز إلى اللفظ على غرار المعنى، فهو أعطى أولوية للهيكل وأناقته، يتبين ذلك في قوله:"المعاني مشتركة بين العقلاء، فربما وقع المعنى الجيد السوقي، والنبطي، والزنجي... وإنما يتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها وتأليفهم ونظمها" [1]. فالفصاحة عنده راجعة إلى اللفظ دون المعنى، ويري أن المثالية للفظ لأن المعاني تحصل وتوجد عند كافة الناس وهي تشترك بينهم، ويرجع اختياره للفظ وتفضيله له على المعنى إلى اعتباره الألفاظ أولى للتعرف على الخطاب أثناء تلقيه، فالنص عنده مجموعة ألفاظ تشكله، فجمالية النص تعود إلى اللفظ بينما المعنى فهو ضمني. ولعل مرد هذا الرأي في انحياز للفظ والتعصب له راجع إلى دوافع نفسية، بحيث إنه لاشك أن التركيب الناصع واللفظ الرقيق العذب

1- الصناعتين الكتابة والشعر- أبو الهلال العسكري.تحقيق: د.مفيد قميحه، ط\1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان 1981م، ص:217.

تتحكم في النفس فتنجذب نحوها، وجزالة الأسلوب تأثر على القلب، فينساق إليها وينبهر بها، ولعل أن العسكري وأتباعه في هذا الرأي قد افْتُتِنُوا بها فسيطرت عليهم الألفاظ نفسيا، حتى أصبح قناعة ورأيا عندهم يتعصبون نحوه.

أما علي عبد العزيز الجرجاني (ت: 322هـ) ينحاز إلى اللفظ، ويتخذه أساس أول في استحسان الشعر وتقييم الشاعر، والمعنى عنده ليس له أية أهمية تحصى، يتضح ذلك في قوله:" وقسمهم بمن هو أجود منهم شعرا، وأوضح لفظا وسبكا، ثم انظروا حكم وأنصف، ودَعْني من قولك (هل زاد على كذا) و(هل قال إلا ما قال فلان) فإن روعة اللفظ تسبق بك إلى الحكم، وإنما تفضي إلى المعنى عند التفتيش و الكشف "[1].

وابن خلدون(ت:808هـ) فرفع من شأن اللفظ هو الآخر، حيث ازدان عنده في مقدمته بقوله:" إن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هو في الألفاظ لا في المعاني، وإنما المعاني تَبَعٌ لها فالصانع الذي لا يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر، إنما يحاولها في الألفاظ يحفظ أمالها في كلام العرب"[2].

وبالنسبة لأنصار المعنى نجد الآمدي وأبي حامد الغزالي وابن الأثير. حيث أعطوا أهمية للمعنى على حساب اللفظ واعتبروا المعنى هو الذي يعود على الشعر أو النثر بالجودة، فيذهبون برأيهم إلى أن الألفاظ مجرد صحن تحمل ما يصب فيها.

فالآمدي (ت:370هـ) من خلال موازنته بين الطائيين برز توجهه نحو المعنى على خلاف اللفظ، حيث وضع صفات يجب توفرها في المعنى حتى يكون واضحا مفهوما وهي صحيح السبك حسن الديباجة، وأن يكون مألوفا عند العرب قديما، أي موافقة معاني القدماء مع المعنى الذي أتى به الشاعر، وان خالف كما فعل أبو تمام فالآمدي لا يرضاه.

1- الوساطة بين المتنبي وخصومه- عبد العزيز الجرجاني . الناشر:عيسى البابي الحلبي ، القاهرة –مصر،1951م، ص:25.
2- المقدمة- ابن خلدون .ط\4، دار القلم، بيروت –لبنان،1981م، ص:577.

وعند أبي حامد الغزالي (ت:505هـ) في كتابه الأصول منح للمعاني أفضلية وأولوية على الألفاظ واعتبرها هي التي تحدد مسار الخطاب، وأنها لها القدرة على جذب الألفاظ واجتلابها وفق هدفها المراد، وهو يتشبث بهذا الرأي باعتباره أن كل من خالفه ضاع وهلك، ومن اتبعه اهتدى، في قوله: "فاعلم أن كل من طلب المعاني من الألفاظ ضاع وهلك وكان كمن استدبر المغرب وهو يطلبه، ومن قرر المعاني أولا في عقله ثم اعتبر المعاني الألفاظ فقد اهتدى".[1]

وابن الأثير فهو آخر يفضل المعنى على اللفظ ويعتبر أن المعاني المخترعة والجيدة هي التي تحكم على الشاعر بالإبداع، حيث أن إبداع الشاعر الحقيقي عنده يكمن في قدرته على جلب معنى حديث وغريب لم يُتطرق إليه من قبل.

من خلال دراستنا هذه يمكننا القول إن ثنائية اللفظ والمعنى من القضايا التي أقامت جدلا واسعا بين الدارسين، حيث شقت سبلاً متعددة إلا أنه يمكننا الوصول والانتهاء إلى حقيقة تظهر أكثر واقعية ومنطقية وهي المزاوجة بين اللفظ والمعنى، إذ لا يمكن أن يجرى المعنى باستقلال عن اللفظ ولا حتى اللفظ باستقلال عن المعنى ، فهما متكافئان ،لا يصح الفصل بينهما، ولا حتى علو طرف على آخر، وهذا ما ورد في صحيفة بشر التي تعد ومن أوائل من طرحت قضية اللفظ والمعنى في تعليمه الفتيان الخطابة، وقد حدد مجموعة من الضوابط والأوصاف لكل منهما ليستحقان مرتبة البلاغة والفصاحة.

وهنا نصل إلى نهاية المبحث الثالث "أثر اللفظ والمعنى في تعليمية اللغة "وبهذا نبلغ إلى ختام الفصل الأول "المستوى اللغوي للتعليمية في صحيفة بشر بن المعتمر" لنباشر بعدها في دراسة الفصل الثاني بعنوان "المستوى البلاغي للتعليمية في صحيفة بشر بن المعتمر وجماليتها".

1- المستصفى من علم الأصول – أبو حامد الغزالي. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1413هـ\1993م، ص: 65.

الفصل الثاني:

المستوى البلاغي للتعليمية في صحيفة بشر بن المعتمر وجمالياتها.

- منازل اللغة والكلام وأثرها في تعليمية البلاغة.
- صلة المتكلمين بتعليمية اللغة والبلاغة.
- المستحدث من المصطلح اللغوي البلاغي في صلته بالإبداع .
- الجماليات في صحيفة بشر بن المعتمر .

في هذا الفصل اتجهنا بدراستنا إلى المستوى البلاغي في صحيفة بشر بن المعتمر (ت:210هـ) من خلال ما يلي:

المبحث الأول: منازل اللغة والكلام وأثرها في تعليمية البلاغة.

يعد التعليم من أهم الميادين التي تحتاج باستمرار للغة والكلام، فهما من أساسيات عملية التعلم، حيث من خلالها يتمكن المعلم من إيصال المعلومات للطالب، فاللغة عبارة عن نظام يجمع بين المستوى الدلالي والنحوي والصرفي والصوتي، وهي الملكة اللغوية المتمثلة في القدرة التي تجتمع في عقول جميع البشر، والتي يمتلكها الإنسان وتميزه عن بقية الكائنات الحية، وتمكنه من الكلام وبهذا فاللغة وسيلة تواصل بين الأفراد بالتعبير عن شؤونهم وحاجياتهم المختلفة عن طريق الكلام ويعرفها ابن جني بقوله: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[1]، أما الكلام فهو أداء فردي يمارس فيه المتكلم قدرته التعبيرية للاتصال بالآخرين تختلف من فرد إلى آخر، وهي الحالة الملموسة لاستخدام اللغة، فالكلام هو القول والخطاب يحتوي على معنى معين، فهو يشمل مجموعة من الألفاظ يستعملها الإنسان للإبداء عما في نفسه، ويعرفه ابن مالك بقوله: " الكلام ما تضمن الكَلِمْ إسناداً مفيداً مقصوداً لذاته "[2]، لذلك يمتلك الكلام أهمية كبيرة في التعلم،كما أن له دورًا هاماً في نجاح هذه العملية، ويجب على كل من المعلم والمتعلم الاهتمام به، وعلى المتعلم أن يحسن الاستماع والاهتمام بموضوع الدرس بهدف الوصول إلى المعرفة والتحصيل الجيد.

1- الخصائص- ابن جني. تحقيق: علي النجار،ج:1، دار الكتب المصرية، مصر، 1952م، ص:33.

2- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد – ابن مالك. تحقيق: د. محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، 1387هـ\1967م ص:3.

واللغة والكلام منازل ومراتب أوردها بشر في نص صحيفته، فقسم المتكلمين من حيث مواهبهم الإبداعية وقدراتهم الفنية إلى ثلاث منازل يتضح ذلك في تعليمه للفتية الخطابة، بقوله:"فكن في ثلاثة منازل "[1].

فالمنزلة الأولى في قوله: " فإن أولى الثلاث: أن يكون لفظك رشيقاً عذبًا، وفخماً سهلاً ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، إما عند الخاصة، إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من المعاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال، وكذلك اللّفظ العامي والخاصي، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام "[2]. يتحدث بشر عن أرقى مرتبة للمتكلمين وهي خاصة بالأديب الذي يملك موهبة أدبية حقيقية، حيث يكون في وسعه تقديم أدباً جميلاً وكلاماً سامياً مرموقاً، ووضع شروطاً يتبعها أصحاب هذه المرتبة وهي:

وفي عبارة " أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلاً " بمعنى أن يكون لفظك راقي وبسيط وله أثر حسن في نفس المتلقي. فكل لفظ يتحلى بهذه السمات يأهل للمتلقي أن يدركه ويفهم مقاصده، وهذا يؤدي لتحقق عملية التواصل.

وفي عبارة " ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً " هنا يقصد أن يكون المعنى واضحاً بعيداً عن الغموض التعقيد، حيث أنه يلفت انتباه المتلقي، ويولد فيه استعداد لتقبل الحقائق التي يحتويها الخطاب.

1- البيان والتبيين – الجاحظ. ص: 136.

2- (م.ن) :ص:136.

وفي " إما عند الخاصة، إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت " الشرط هنا أن يكون الكلام مناسبا للخاصة إذا كان موجها لهم ومناسبا للعامة إذا كان موجها لهم حيث هنا ينبه بشر المتكلم لمراعاة أهم أساس لنجاح عملية التواصل، وهو يقسم الناس إلى طبقتين، طبقة خاصة وهم طبقة الأدباء والشعراء، حيث لهم لغتهم الخاصة التي ينبغي أن يخاطبوا بها لكي يمنح للمتلقي منهم حقه المعرفي وقدره، والطبقة الثانية لهي طبقة العامة فلهم أيضا لغتهم الخاصة التي تتماشى مع قدراتهم، إذ أن المتلقي فيها يكفيه أن يستوعب القصد من عمومية اللفظ.

وفي قوله:"والمعنى ليس يشرف بأن يكون من المعاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة،" فهذا لا يعني أن المعنى الموجه للخاصة يكون شريفا وعفيفا وكذلك لا يعني أن يخاطب العامة بألفاظ ومعاني وضيعة وساقطة، وإنما شرف المعنى يكمن في صحته ومنفعته، أي في تحقيق الهدف المنشود.

وفي عبارة "مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال " والشرط هنا أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال، فيقصد بالحال هنا الظروف الأمور التي تستدعي وتأثر في الكلام، حيث أنها تجعل الإنسان يتكلم بأسلوب معين، يراعي فيه الحالة النفسية والعقلية والعلمية والاجتماعية والثقافية للمخاطب، فللخطاب أحوال كثيرة لا يمكن تعدادها، يقال: "فمثلا إنكار المخاطب لحكم حال يقتضي تأكيده، والتأكيد مقتضاها، ومعنى مطابقته له أن الحال إن اقتضى التأكيد كان الكلام مؤكداً. وإن اقتضى إطلاق كان الكلام عارياً عن التأكيد، وهذا إن اقتضى حذف المسند إليه حذف، وإن اقتضى ذِكْرَه ذَكَرَهُ إلى غير ذلك من التفاصيل المشتملة عليها علم المعاني "[1]، وفي هذا المثال الإنكار بمثابة حال المخاطب والتأكيد هو مقتضى الحال.

1- البلاغة العربية بين التقليد والتجديد – د. محمد عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف. ط\1 ، دار الجيل، بيروت 1412هـ\1992م، ص: 103.

والمقصود من "ما يجب لكل مقام من مقال " أي أن لكل فئة أو طبقة طريقة للتكلم والتخاطب معها بها، فالمقام يختلف باختلاف الزمن والأشخاص والأعمار ويختلف معها المقال وهذا أن يخاطب الناس بحسب مستوياتهم كي يتم الفهم والوصول إلى غاية الخطاب، كما قال الجاحظ: " لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة.ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة، ولا يدقق المعنى كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفيها كل التصفية ولا يذهبها غاية التذهيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيماً، أو فيلسوفاً عليماً "[1] فالمتكلم يجب أن يراعي كل طبقة ممن يتحدث إليهم كي لا يثير غضب المتلقي ويكون لبقا، وبهذا لا يخرج كلامه عن حيز البلاغة.

ويقول بشر: " فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عند الدهماء[2]، ولا تجفو عند الأكفاء[3]، فأنت البليغ التام "، بمعنى أن المتكلم إن تمكن من خلال بيانه وبلاغته واستطاع أن يوصل العامة إلى فهم معاني الخاصة، بحيث يضع ألفاظ واسطة بين الطبقة العامة والخاصة، فلا تكون صعبة الاستيعاب والفهم عند عامة الشعب، وفي المقابل لا تكون غريبة عند الخاصة، وبعبارة أخرى هي قدرة المتكلم التعبير عن المعاني الشريفة والراقية بأسلوب وسط يفهمه العامة ولا ينفر منه الخاصة، بهذا يكون أبلغ البلغاء.

أما في المنزلة الثانية فيقول:" فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك وفي أول تكلفك، وتجد اللّفظة لم تقع موقعها، ولم تصر إلى قرارها، وإلى حقبها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها، نافرة من موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن، والنزول في غير أوطانها، فإنك إن لم

1- البيان والتبيين – الجاحظ. ص: 144.

2- الدهماء: هي طبقة العامة للشعب.

3- الأَكْفَاء: المتمكنين من هم على مرتبة عالية.

تتعاطى قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنشور، لم يعبك بترك ذلك أحد، فإن أنت تكلفتها ولم تكن حاذقاً مطبوعاً، ولا محكماً ليشأنك بصيراً بما عليك وما لك عابك من أنت أقل عيباً منه، ورأى من هدونك أنه فوقك، فإن ابتليت بأن تتكلف القول تتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة وتتعاصى عليك بعد إجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك وسواد ليلتك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك، فإنك لم تعدم الإجابة والمواتاة، إن كانت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرق،"[1] وفي هذه المنزلة يخاطب الأديب متوسط المرتبة الذي لا يمتلك الطبع الفياض، أي القدرة الكاملة على النظم الجيد. وبقوله: " فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك وفي أول تكلفك، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر إلى قرارها وإلى حقبها من أماكنها المقسومة لها" هنا يوضح أن المنزلة الأولى لا تناسب الأديب المتوسط، حيث إنه تدفعه للتكلف، أي التصنع في الكلام، وهو يؤدي إلى أن اللفظة لا تقع مكانها المناسب لها وبهذا فإنها لا توافق المعنى المقصود. ويُحَسُ ذلك من خلال صعوبة تركيب الجمل وتلاؤمها مع بعضها بعض، وعدم وضوح معانيها.

وفي قوله أيضا : " والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها، نافرة من موضعها"، هنا يتحدث عن القافية المفروضة والمتكلفة البعيدة عن الطبع، بحيث أنها تكون غير مناسبة في المكان الذي وضعت فيه، نافرة منه، والشاعر هنا لا يكون هادفاً إلى إبراز المعاني المنشودة، بل إنه يعمل على إقامة الأوزان بتغلب الألفاظ، وهذا النوع من الشعر يسمى بالشعر المتكلف وتبرز فيه صناعة القول بتعسف وتخفى فيه بلاغة الشاعر وبراعته، فتحس أن القصيدة غير مقنعة فلا تستجيب لها النفس، ومن هنا فإنها لا تشد القارئ أو المتلقي إلى مضمونها. وفي عبارة " فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن، والنزول في غير أوطانها "، هنا هو ينبه الأديب على عدم إجبار القافية ووضعها في أماكن لا تناسبها، فهذا الفعل ليس من سمات البليغ، فهو يحط من شأن القصيدة، ويهجن المعنى.

1- البيان والتبيين – الجاحظ . ص: 137-138.

وفي قوله " فإنك لم تتعاطى قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور، لم يعبك بترك ذلك أحد، فإن أنت تكلفتها، ولم تكن حاذقاً مطبوعاً، ولا محكماً لشأنك بصيراً بما عليك ومالك عابك من أنت أقل عيبا منه، ورأى من هدونك أنه فوقك."يحث بشر هنا الفتية في حال تعسّر عليهم نظم الشعر موزونا بقوافيه وتعسف عندهم اختيار الكلام المنثور، لهو المرسل من الكلام من دون وزن وقافية، أن يتخلوا عن ذلك من دون أن يعبهم أي أحد، ويقول " إن تكلفت ولم تكن حاذقًا مطبوعًا" أي لا يكون متمكن من الشعر، ولم تمنح له الطبيعة الذوق الحساس وتمكنه من الإجادة في النظم، فبهذا تفتح المجال على نفسك أن يعيبك وينقذك من هو أقل منك مستوى ويرى نفسه أحسن منك.

وفي قوله:" فإن ابتليت بأن تتكلف القول تتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة وتتعاصى عليك بعد إجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك، وسواد ليلتك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك، فإنك لم تعدم الإجابة والمواتاة، إن كانت هناك طبيعة أو جريت من الصناعة على عرق " ينصح بشر هنا الأديب المتوسط في حال ما يمتحن بأن يتعاطى الصنعة، أن يتروى في طلب الكلام، فلا يعجل ولا يقلق إن لم يسمح له الطبع في أول مرة، فقد لا يستطع القول والإبداع في كل وقت، ويرشده إلى أن يعاود في أوقات فراغ باله ونشاط جسده ونفسه معا، فحين إذن لا تنعدم عنده الإجابة ما إن كان له عرق في الصنعة.

أما المنزلة الثالثة في قوله: "فإن تضع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول إهمال فالمنزلة الثالثة أن تتحول من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك وأخفها عليك فإنك لم تشته ولم تنازع أليه إلا وبينكما نسب، والشيء لا يحن إلا ما يشاكله وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة. ولا تسمع بمخزونها مع الرهبة، كما تجود به مع الشهوة والمحبة فهذا بهذا "[1]، وفي هذه المنزلة يخاطب الشخص الذي تنعدم عنده قابلية

1- البيان والتبيين – الجاحظ. ص:138.

الأدب ولا تتوفر عنده الموهبة، حيث أنه يوصيه وينصحه بأن يبتعد عن هذه الصنعة فليست منه، لأنه لا يستطيع أن يبدع فيها وليس منها، وأن يجد لنفسه صنعة أخرى يميل إليها ويبرع فيها وتكون له الرغبة في ممارستها، فلا توجد إلا مع الشهوة والمحبة فيها.

ومن هنا يمكننا القول إن المتكلمين ثلاث منازل أو مراتب، بحيث يجب على المتعلم أن يعرف ويصنف نفسه وفق هذه المنازل، فمن له موهبة إبداعية يصنف نفسه في المرتبة الأولى ويعمل على تحقيق شروطها، وإن كان متوسطاً يصنف نفسه في المنزلة الثانية ويعمل على تطبيق النصائح التي أتى بها بشر، وإن لم تكن له أي موهبة ورغبة أدبية فهو يصنف في المنزلة الثالثة وعليه إيجاد صنعة تناسبه.

وإلى هنا نصل إلى نهاية دراسة المبحث الأول "منازل اللغة والكلام وأثرها في تعليمية البلاغة" لننتقل بعده إلى دراسة المبحث الثاني "صلة المتكلمين بتعليمية اللغة و البلاغة".

المبحث الثاني: صلة المتكلمين بتعليمية اللغة والبلاغة.

تكمن بلاغة المتكلم في كونها ملكة راسخة، يستطيع من خلالها المتكلم التحكم في الكلام وأغراضه المتنوعة ببديع قوله وبيان لسانه ليصل بالمخاطب إلى غايته المقصودة، وهي في اصطلاح البلاغيين مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، حيث لا يكون الكلام بليغا إلا إذا كان فصيحاً، أي قدرة المتكلم بالتعبير عما يجول في خاطره ومقاصده، بكلام فصيح خال من أي عيوب تُخِل بفصاحة الكلام، تتمثل هذه العيوب في: تنافر الكلمات: بمعنى أن تكون الكلمات المتتابعة

ثقيلة على اللسان يصعب نطقها الواحدة بعد الأخرى، ضعف التأليف: وهو أن يكون الكلام مخالفا لقواعد النحو، التعقيد: وهو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد، بنوعيه لفظي أو المعنوي. وهذه القدرة لا تكتسب من فراغ أو عدم بل تحتاج إلى إتقان علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة.

من المسلم أن الكلام لا يؤثر في نفوس المستمعين، ويصل إلى السيطرة على عقولهم ومشاعرهم حتى يقع موقعه، ويوافق الحالة التي تناسبه، وخير سبيل ذلك هو تربية الذوق الأدبي عند المتكلم، بحيث يدرك أنسب الأساليب للتعبير عن الحال الذي يتكلم فيه، ويتضح ذلك في قول بشر بن المعتمر" ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها، وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات، فإن كان الخطيب متكلماً، تجنب ألفظ المتكلمين، كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام، واصفاً، أو مجيباً، أو سائلاً، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل، إليها أحن، وبها أشغف، لأن كبار المتكلمين، ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء، وأبلغ من كثير من البلغاء، وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف، وقدوة لكل تابع." [1] يؤكد بشر في النص قوله أن يراعي المتكلم في كلامه قدر المعنى الذي يتضمنه وأن يكون له علم بعقلية المستمعين وطباعهم حتى يستطيع أن يوازن بين المعنى المقصود وبين قدرة المستمع، فيمنح لهم حق الفهم والاستمتاع بما هو ظاهر في كلامه وباطنه، وتحقق هذا بإيراد كلامه على النحو الذي يفهمونه، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيُهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ } [2]، وعلى المتكلم

1- البيان والتبيين – جاحظ. ص: 138-139.

2- سورة إبراهيم: الآية 4.

أو المخاطب أن يحس معرقلات الفهم التي تواجه المستمع، فييسرها حتى لا يكون كلامه غامضاً ويلقى استحساناً منهم، ويحبب تلك المعاني إلى قلوبهم بألفاظ خفيفة في الأسماع مقبولة في أذهانهم، يؤدي إلى سرعة استجابتهم مع الكلام، فالمتلقي هو عنصر مهم في الإبداع، وعليه تقاس أمور الإبداع، إن أنصت له واستساغ واستجاب كتب لهذا الإبداع الخلود، وإلا فإنه سيتلاشى ويبطل، ويجب أن يحقق له فائدة مما يسمعه وهذا الجذب انتباهه، ويكون مهتم بالكلام، ويعيد له القول بصيغة أخرى في حالة ما لم يفهم القصد من أول مرة، وفي ذلك قال محمد بن إبراهيم بن جماعة "...من سمات البليغ أن يحرص على التفهيم على قدر الأذهان، ولذلك كان البليغ أن يبذل الجهد لما يريد تعليمه أو تفهيمه، بتقريب المعنى له من غير إكثار لا يحمله الذهن، أو بسط لا يضبطه حفظ ويوضح لمتوقف الذهن العبارة، ويحتسب إعادة الشرح له وتكراره"[1]، كما يجب على المتعلم أن يراعي حالاتهم النفسية والجسدية، بحيث لا تكون له وللمستمعين ضغوطات خارجية مثل المرض أو الجوع أو يكونوا في حاجة للنوم ليستطيعوا التركيز في الكلام وموضوعه فيدرك ما يقال ويحث أيضا على موازنة المعنى مع حالات المستمعين ففيهم العالم، والجاهل، والوزير، والعامي والملك.

وفي عبارة " فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً " يعتبر بشر أن المستمعين ليسوا سواسية بل هم طبقات، وكل طبقة تختلف عن الأخرى بإتلاف قدراتهم على الاستيعاب، فعلى المتكلم أن يجعل لكل طبقة كلام يراعي من خلالها جدارتهم في اكتساب المعنى وإجلائه، ولكل حالة ومن الحالات التي سبقنا ذكرها يجعل لها مقاماً، وقد حكَّم القرآن الكريم رعاية هذا الجانب في قوله عز وجل: ﴿لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ...﴾[2] وأن يكون هناك انسجام موضوعي بين المعنى والموضوعات التي تساق فيه، فكثيرا من النقاد يقفون

1- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم – محمد بن إبراهيم بن جماعة. دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص: 52.
2- سورة النور: الآية 63.

عند خطأ الخطباء والشعراء فيما يأتون من المعاني التي لا تتفق مع الموضوع الذي يتكلمون فيه فمثلا لا أتكلم على موضوع محزن وفي معانيه أتكلم عن الفرح، لابد من وجود تناسب بينهما .

وفي نص قوله: " حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات "، هنا يبين بشر حقيقة مفادها أنه بمعرفة المتكلم قدرات المستمعين وحالاتهم وموازنتها مع المعاني وبجعله لكل طبقة كلام ولكل حالة مقام فمن هنا حتما يستطيع أن يقسم الكلام على حسبها.

وفي عبارة " فإن كان الخطيب متكلماً، تجنب ألفاظ المتكلمين"، يقصد بشر أنه إن كان الخطيب ذا مرتبة عالية، لدرجة أنه يكون فيلسوف عليه الابتعاد وتجنب استعمال ألفاظ الفلاسفة المعقدة في خطاباته.

وفي قوله: " كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام، واصفاً، أو مجيباً، أو سائلاً، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل، وليها أحن، وبها أشغف "، يحث بشر هنا الخطيب في حالة تعبيره عن صناعة الكلام سواء كان يصف أو يجيب أو يسأل، ففي هذه الحالة عليه استعمال ألفاظ المتكلمين أي الفلاسفة، فهي أنسب والأولى إليه في هذه الحالة، وإذ كانوا المستمعين يفهمون هذه الألفاظ ويميلون ويحنون لها ويشغفون بها ويهوونها، أي بصفة عامة تلقى استحسانا منهم.

وفي قوله "ولأن كبار المتكلمين، ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء، وأبلغ من كثير من البلغاء، وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف، وقدوة لكل تابع"، يبين بشر أن مرتبة الأديب التي هو من كبار المتكلمين، ويعد من رؤساء النظارين تفوق مرتبة الخطباء، حيث أنه يعتبر أبلغ البلغاء، وهم من وضعوا للمعاني الألفاظ تلك واجمعوا عليها، وهم من استنبطوا الأسماء لتلك المعاني انطلاقا من كلام العرب، ووضعوا المصطلحات لكل ما لم يكن

له اسم في كلام العرب ولغتهم، وبهذا أصبحوا قدوة لمن أتوا بعدهم، وسلفاً لمن خلف، والسلف في اللغة العربية " هم العلماء المتقدمون في الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأتباعهم " [1] ومعنى الخلق أيضا في اللغة " المتأخرون عنهم والقائمون مقامهم في النظر والاجتهاد " [2].

وهنا نصل إلى نهاية المبحث الثاني " صلة المتكلمين بتعليمية اللغة والبلاغة " لننتقل بعدها إلى المبحث الثالث " المستحدث من المصطلح اللغوي البلاغي في صلته بالإبداع".

المبحث الثالث: المستحدث من المصطلح اللغوي البلاغي في صلته بالإبداع .

في ختام صحيفة بشر بن المعتمر يورد مجموعة من المصطلحات الحديثة التي وضعها كبار المتكلمين في قوله: "ولذلك قالوا: العَرضَ، و الجوهرْ، وأَيْسْ، ولَيْسْ، وفرقوا بين البطلان والتلاشي وذكروا الهذية، والهوية، والماهية، وأشباه ذلك."[3]

1. مصطلح العَرضَ:

العَرضَ في اللغة يقال:" الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع، أي محل، يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به"[1] وفي الاصطلاح هو الذي يُعرض على الجوهر،

1- تاج العروس – الحافظ محمد مرتضى الزبيدي. تحقيق: إبراهيم الترزي ،مج:1، ط\1، دار الفكر، بيروت، 1414هـ\ 1993م، ص: 65.

2- (م.ن): ص:65.

3- البيان والتبيين – الجاحظ. ص:139.

كالإنسان فطول وقصر القامة بمثابة عرض عليه، وهو الموجود في الجوهر عارض عليه وكان الجوهر مستغنيا عنه، مثل درجة الحرارة التي تعرض على الماء، فبارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها يبقى الجوهر لهو الماء على حاله. والعرض في الحقيقة مصطلح فلسفي بامتياز أجمع الفلاسفة عليه ولا يشكوا في وجوده، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿... لِتَبْتَغُوا عَرَضَ حَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾[2]، وهو قسمان: الأول قار الذات، وهو الذي يظهر في الوجود كالألوان، أما ثانيهما هو غير قار الذات، وهو الذي لا يظهر في الوجود كالحركة والسكون والوقت .

يكمن عرض الإبداع في الأسلوب الذي يطفيه المبدع على النص والألفاظ التي يختارها لتجسيد المعاني فالألفاظ هي القائمة على إيصال المعاني للمستمعين .

2. مصطلح الجوهر:

يقال إن الجوهر في اللغة "ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع"[3]، وفي معجم الوسيط "جوهر الشيء حقيقته و ذاته"[4]، أما في الاصطلاح فالجوهر مشتمل على الجسم، الصورة العقل، النفس، وبهذا فهو نوعان: فالأول الروحاني يكون مجرد، وهو ما يتعلق بالبدن كالعقل والنفس، وثانيهما الجسماني أن يكون غير مجرد كالإنسان والحيوان، النبات. وعند المتكلمين هو

1- التعريفات – الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسني الجرجاني الحنفي. تحقيق: إبراهيم الآبياري، ط\2، دار الكتب العربية، بيروت، 1413هـ\1992م، ص:192.

2-سورة النور: الآية 33.

3- التعريفات – الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسني الجرجاني الحنفي. تحقيق: إبراهيم الآبياري، ص: 108.

4- معجم الوسيط – مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار). ج: 1، ط\4 مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1439هـ\2008م، ص:149.

الموجود المتحيز بذاته القائم بنفسه، يحتمل الأعراض، ومن هنا فالجوهر في الإبداع يتمثل في المعنى الذي يدور حوله النظم والخطاب فهو القائم بذاته والألفاظ هي العَرَضَ له.

الفرق بين العَرَضَ و الجوهرْ:

يتضح الفرق بين مصطلحي العرض والجوهر في الجدول التالي:

العَرَضَ	الجوهرْ
– هو الظاهر على غيره. – هو الصفات التي تظهر على الشيء. – هو الذي يجرى على الجوهر.	– هو القائم بذاته. – هو الشيء بحد ذاته. – يحتمل العرض.

3. مصطلح أَيْسْ:

يرد معنى أَيْسْ في اللغة "خلاف ليْس، يقال: ائْتِ به من حيث أيْسْ وليْسْ: من حيث يكون ولا يكون"[1]، أما في الاصطلاح فهي كلمة عربية غير متداولة، وبهذا فهي مهجورة، وهو مصطلح فلسفي بامتياز، حيث يدور معناه عندهم حول الموجود والوجود، ويدل على (هو) أي أنه في حالة الكينونة وأيْسْ هو اليقين بالشيء الموجود، حيث قال الكندي:" يتضح لك أن الله جل ثناؤه، وهو الإنية الحق التي لم تكن ليس، ولا تكون ليْسا أبدا. ولم يزل ولا يزال أيْس أبدا. وأنه هو الحي الواحد الذي لا يتكثر بتة. وأنه هو العلة الأولى التي لا علة لها، و الفاعلة التي لا فاعل لها، و المتممة التي لا متمم لها. والمؤيس الكل عن ليس، والمصير بعضه لبعض أسباباً وعللاً " [2].

4. مصطلح لَيْسْ:

1- (م.ن):ص:34.

2- رسائل الكندي الفلسفية- يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي. تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريده، ج:1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1369هـ\1950م، ص: 215.

يقال إن كلمة ليس في اللغة العربية "كلمة دالة على نفي الحال، وتنفي غيره بالقرينة نحو ليس خلق مثله، وهو فعل لا يتصرف، وزنه فَعِلَ، ثم التزم تخفيفه بسكون عينه."[1] ويورد الخليل بن أحمد الفراهيدي " ليس كلمة جحود، قال الخليل: معناه : لا أيْسْ، ومعناه: من حيث هو ولا هو"[2]، أما في الاصطلاح فليْس ضد أيْسْ وتعود على المعدوم والعدم، أي إنها لا أيْسْ ، فهي لا وجود ولا موجود، وليس مقصود بها أيضا لا يكون، أي أنها تأتي لنفي الحال .

الفرق بين أيْسْ وليْس:

أَيْسْ	لَيْسْ
– الموجود والوجود.	– المعدوم والعدم.
– يدل على هو.	– يدل على "ليس هو".
– اليقين بالكينونة.	– دال على نفي الحال.
– خلاف ليس.	– لا أيْسْ.

وذكر بشر أنه فصلوا بين مصطلحي البطلان والتلاشي، في قوله:" وفرقوا بين البطلان والتلاشي"، ومنه:

5. مصطلح البطلان:

1- معجم الوسيط – مجمع اللغة العربية. ص:849.

2- العين- الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مج: 4، ط\1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان 1424هـ\2003م، ص: 112.

في اللغة العربية، مشتقة من الفعل بَطَلَ وورد في معجم الرائد" بَطَلَ يَبْطُلُ بُطْلاً وبُطُولاً وبُطْلاَناً الشيء ذهب ضياعاً "[1]. أما اصطلاحا فتعني كلمة بطلان ضياع الشيء وخسارته وفساده، وعدم المنفعة منه حيث لا أثر ولا غاية ولا فائدة منه.

فإذا حكم على الشيء بالبطلان لا يرجع إليه، ويتفاوت مفهوم البطلان على حسب المجال الذي يرد فيه، ففي الفقه البطلان يعنى سقوط الحكم واعتبار العبادة كأنها لم تؤدى أصلا، مثال ذلك: إذ لم يتوضأ الشخص وصلى فصلاته باطلة لم تقبل منه،كأنه لم يؤديها من الأساس، قال الله تعالى:﴿يَا أَيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمِنِّ وَ الأَذَى﴾ [2]، أما في القانون فهو يعني عدم النفاد مع عدم الصحة.

وبطلان الشعر والنثر، أي في الإبداع عموما يكون لعدم ترتب عنه الأثر المرغوب منه، فإن كان لا يَلْقَى استحسانا وغير مفهوم من قبل المتلقي، فهو باطل لا محالاَ، حيث لا يلتفت إليه ويهمل لعدم وجود فائدة منه عند السامع. والبطلان في الإبداع هو كناتج للحرب الباردة بين الناقد والمبدع على المكانة، حيث يستطيع الناقد إبطال ومحو الإبداع بسحبة قلم منه، فينفي العمل الإبداعي من الوجود بكل هدوء، مثل شعر صلاح عبد الصبور وما فعله العقاد به، وهناك سبيل آخر لإبطال الإبداع وهو مقابلته بالصمت التام، وأصبح يستعمله أغلبية النقاد، حيث إنهم يتغاضوا ويتجاهلوا الإبداعات الحديثة وبهذا تعتبر باطلة، ومن هنا يتهم النقاد بالكسل والجمود وأنهم مختلون نفسياً ويعتبرون أن الناقد مبدع فاشل، فهو لا يرى إلا أخطاء وعيوب المبدعين.

6. مصطلح التلاشي:

التلاشي في اللغة من تلاشى ورد في معجم الغني " [تلاشى.ل.ش.م].(ف:خماسي لازم) تلاشى. يتلاشى. مص. تلاشي.

1- الرائد – جبران مسعود. ط\7، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1992م، ص: 175.

2- سورة البقرة :الآية 264.

1- تلاشى ثوب معطفه: تقطع، تمزق، صار مهترئاً.

2- تلاشت صحة الرجل: ضعفت، وَهُنَتْ.

3- تلاشت قوته من التعب يوماً بعد يوم: خارت وانحطت من التعب، اضمحلت."[1]

أما في الاصطلاح فيكمن تلاشي الإبداع في اضمحلال العمل الفني واندثاره وزواله، ويكون هذا نتيجة قدمه وجاء بعده من أضعفه، وبالرغم من ذلك يمكن العودة إليه.

الفرق بين البطلان والتلاشي:

يتجلى الفرق بين التلاشي والبطلان في الإبداع، كون الإبداع الباطل لا يمكن العودة إليه بينما الإبداع المتلاشي يمكن العودة إليه والاحتجاج به.

7. مصطلح الهذية:

ورد معنى الهذية في المعجم الفلسفي على أنها:"اسم مشتق من هذا، يطلق على ما به يكون الشيء هذا، الشيء لا غيره"[2]، ويعني هذا أنها ميزة الشيء عن غيره، كميزة العقل عند الإنسان دون غيره من الكائنات الحية، الهذية عند الفلاسفة هو الذي يقوم في دلالاته على مبدأ التفرد الذاتي ويشير مفهوم التفرد إلى تكون شخصية الفرد بالإنفراد عن محيطه، فتفرد يسمح له بالإطلاع على ذاته بصورة واضحة فيكتشف ما يميز شخصيته عن غيره ويكون هذا في مرحلة إدراك الذات .

8. مصطلح الهوية:

1- معجم الغني – عبد الغني أبو العزم. 23 مارس 2020م، موقع: المكتبة الشاملة، رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: 3083، ص: 496، https :shamela.org.

2- المعجم الفلسفي – د. جميل صليبا. ج:2، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، 1982م، ص: 519.

أتى مفهوم الهوية عند العلامة علي بن محمد الجرجاني " الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"[1]، أما في الاصطلاح فيقصد بالهوية حقيقة الشيء وجوهره، فهي سلسلة تصورات تجعل الفرد مدركا للذاته ومكونة لها، وتنبني على مبدأ الاختلاف والوحدة، وبمعنى آخر هي مجموعة الصفات والسمات الأساسية التي تميز الشيء عن غيره، وهويته وسطه ولبه، وهي شعور فردي و اجتماعي أو إقليمي في النفس، وهي خلاصة الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية، حيث إنها تساهم في تميز الشعوب عن بعضها بعض. وهي ثلاث أقسام:

الهوية الفردية هي مجموعة السمات الخاصة في شخصيات الأفراد، فهي تمنح للفرد الخصوصية والذاتية، كما يمكن القول عنها أنها الصورة التي تعكس ثقافته وعقيدته، أما الهوية الجماعية هي الصفات التي تميز جماعة عن أخرى من عادات وتقاليد وأعراق، بينما الهوية الإقليمية أو الوطنية فهي تشتمل على لغة الوطن ودينه وتاريخه ونظام الحكم فيه والأرض، فمجمل هذه العناصر تدخل في تكوين الهوية الوطنية.

تظهر العلاقة بين الهوية والإبداع من حيث التطلع على وقع وتأثير الهوية على إبداع الشخص، حيث إن إحساس الهوية يعتبر تمهيد للإبداع، وذلك وفق:

- إحساس المبدع بأنه مالك رسالة فيتميز فيها.
- الاجتهاد على ازدهار كفاءات مجتمعه وتأثيره على عمله الإبداعي .

فالإبداعات بمختلف إشكالها من أدب وفن، تعد مثابرات ومحاولات للفرد على مر الزمن لتجسيد الهوية بتفاوت مستوياتها سواء كانت هوية فردية أو جماعية، وبتباين سماتها الثقافية والوطنية

1- التعريفات – الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسني الجرجاني الحنفي. تحقيق: محمد بن عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، دت، ص: 285.

بحيث تعرض الهوية في العمل الإبداعي إما يغرض التعريف عنها، أو تمثيلها وتجسيدها، أو نقدها وإعادة ضبطها وتصحيحها .

وتظهر الهوية في الأعمال الإبداعية أحيانا بشكل مباشر، وأحيانا أخرى بشكل ضمني غير مباشر، وعلى الهيئتين فإن للمبدع رغبة في الكشف عن الجانب الإنساني والجمالي من هويته.

9. مصطلح الماهية:

يدور مفهوم الماهية في معجم الوسيط حول إن " الماهية، ماهية الشيء: كُنْهَهُ وحقيقته أخذت من النسبة إلى ما هو أو ما هي "[1]، أما الماهية في الاصطلاح يعنى بها الدلالة على الشيء ومقصوده، وهي التي تميز الشيء عن غيره، وتجمع بين الشيء والصورة الذهنية له، وهي جواب السؤال "ما هو" و"ما هي"، ومن هنا فهي تبين حقيقة الشيء.

والماهية تشمل الهوية من حيث إبراز ميزة الشيء عن غيره، ومن جهة اللفظ فهي مدلوله ويقال: " إن علاقة الماهية بالأشياء علاقة تضمن ويُسْتَعَاد التعديد ويؤسس في التعريف والماهية تعلوا على الأشياء تجميعا لها، واستعادتاً."[2]والماهية نوعان :

الماهية الحقيقية: وهي الدلالة الثابتة في العقل لنفس الشيء دون غيره، وهو المدلول للمصطلح الذي أجمع عليه الجمهور.

الماهية الاعتبارية: فهي مخالفة للنوع الأول، أي أنها موجودة بحسب إدراك العقل وفهمه.

والإبداع يحمل في طياته ماهية سواء كانت حقيقة أو غير ذلك، فهي المعنى المراد الوصول إليه من هذا الإبداع .

1- معجم الوسيط – مجمع اللغة العربية. ص: 892.

2- الوجود والماهية والجوهر – بول ريكور. ترجمة :(فتحي انقزو، محمد بن ساسي، حبيب الجربي، محمد محجوب)، ط\1 المركز الوطني للترجمة ، تونس، 2012م، ص: 17.

وهنا نصل إلى نهاية المبحث الثالث " المستحدث من المصطلح اللغوي والبلاغي في صلته بالإبداع"، لننتقل إلى المبحث الرابع بعنوان " جماليات صحيفة بشر بن المعتمر".

المبحث الرابع : جماليات صحيفة بشر بن المعتمر .

بعد دراستنا لصحيفة بشر بن المعتمر وتناولنا مختلف قضاياها ومواضيعها وإعطاءنا لتحليل لها، الآن نسلط الضوء ولا ننكر أن بشر بن المعتمر كغيره من المسلمين قد اقتبس من القران الكريم واستنبط من الأحاديث النبوية الشريفة لتأثره بها .

ففي سياق الكفاءة العالية للعمل وطرق إجادته المتعلقة بنشاط النفس وراحتها، نذكر بعض الأمثلة القرآنية المقتبس منها، كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحُزْنَ إِنَ رَبَنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾،[1] في الآية تبيان أن حزن أنفس المؤمنين أدى إلى عرقلة صيرورة أعمالهم الحياتية اليومية، حيث أثنوا على الله و شكروه بمجرد إزالته لحزنهم وانشراح صدورهم الذي أدى إلى طمأنينة القلب وخلق سكينة فيه وشعور بالفرج، بالتالي تحسن نشاطهم وسهولة أداء مهامهم الدنيوية.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيَتُهَا النَفْسُ المطْمَئِنَّةَ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً فَدْخُلِي فِي عِبَادِي وادْخُلِي جَنَّتِي ﴾،[2] ومعناه أن قوة الوازع الديني وصحة العقيدة الإسلامية يخلق الطمأنينة في النفس و اقتناعها بالدين الإسلامي فرضاها وراحتها، مما يؤدي إلى قيامها بمختلف العبادات والطاعات على أتم وجه وأكمل صورة وبهذا تضاعف حسناتها، فيثقل ميزان حسناتها وبالتالي مرضاة الله والفوز بالجنة التي تعتبر الهدف المنشود لدى كل مسلم.

أما من السنة قوله صلى الله عليه وسلم : "... أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة "،[3] ففي الحديث إبراز للعلاقة الوطيدة التي تجمع بين الحالة النفسية للمرء سعيدا كان أم شقيا ويبين نوعية وجودة العمل، حيث إنهما متوازيان في السعادة والشقاء يحددان حسن وسوء العمل على التوالي.

1- سورة فاطر:الآية 34.

2-سورة الفجر:الآية 27-30.

3- صحيح الأدب المفرد – محمد ناصر الدين الألباني. رقم الحديث: 694، باب قول الرجل عن التعجب: سبحان الله ط\4، مكتبة الدليل، المملكة العربية السعودية، 1418هـ \ 1997م، ص :335.

وفي قضية حسن استغلال الوقت الذي يعتبر أهم النعم التي أنعم الله بها على عباده ولأهمية الوقت العظمى أقسم الله عز وجل به، في القران الكريم في مواطن عديدة التي اقتبس وتأثر بها بشر بن المعتمر في صحيفته وكذا في الأحاديث النبوية الشريفة، حيث وردت آيات كثيرة تحث على اغتنام واستغلال الأوقات في القيام بصالح الأعمال، كقوله عز وجل: ﴿ هُوَ الذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شَكُورًا ﴾،[1] وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ وَالعَصْرِ إِنَ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَبْرِ﴾،[2] وانطلاقا من الآيتين يمكننا الاستنتاج أن القيام بالأعمال الصالحة في الوقت المناسب وقبل فوات الأوان مكسب وفوز للمسلم في الآخرة بالجنة، وفي قوله أيضا: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِكُمْ وَجَنَاتٍ عَرْضُهَا السَمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَتْ لِلْمُتَقِينَ﴾، [3] هذا مدلوله أن القيام بالعمل في الوقت المناسب له مكسب للنتيجة المرجوة من هذا العمل.

أما من السنة حديث عَدْي بن حاتم قال: قال صلى الله عليه وسلم : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعمله ما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه "[4]، في الحديث حث عن أهمية حسن استغلال الوقت فهو أول ما يحاسب العبد عليه وكذا عن جسمه بما فيه نفس فيما أبلاها، فبصحة كل من النفس وحسن استغلال الوقت تكمن صحة العمل، و أيضا في قوله صلى الله عليه وسلم: "اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك"[5] في هذا الحديث يوصي الرسول صلى الله عليه وسلم أمته بوصية وهي من أعظم واجل الوصايا، ويحضهم

1- سورة الفرقان:الآية 62.

2- سورة العصر:الآية 1-3.

3-سورة آل عمران:الآية 133.

4- الجامع الكبير- محمد عيسى الترميذي. تحقيق: بشار عواد معروف، رقم الحديث: 2418، باب في القيامة، ط\1، دار الغريب الإسلامي، 1996، ص:215.

5- صحيح الترغيب والترهيب – محمد ناصر الدين الألباني. رقم الحديث: 3355، باب الترغيب في ذكر الموت وقصر الأمل والمبادرة بالعمل وفضل طول العمر لمن حسن عمله والنهي عن تمني الموت، ص 311.

أشد الحظ بدعوتهم إلى اغتنام الأوقات لتأدية الفرائض في وقت المهلة أي في زمن الشباب، لأنه يؤتي زمن على من فرط في ذلك يتمنى أداءها ويستحيل عليه ذلك، فإن بعد كل شباب هرم وبعد كل فراغ شغل، وبعد كل صحة سقم وبعد الحياة موت، فمن فرط في العمل أيام الصحة والشباب والفراغ لم يدركه في أيام السقم والهرم و عند مجيء الشواغل، كما من فرط فيه زمن الحياة لم يدركه بعد الممات، فعند ذلك يتمنى الرجوع ولا يستطيع ويكون فات الأوان لذلك.

وأشار بشر بن المعتمر في صحيفته إلى ضرورة الابتعاد عن التكلف لما فيه من مشقة لنفس مقتبسا إياها من قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾[1]، فالله بجلاله وعظمة مقامه ولم يكلف على العبد الضعيف، وهذا بيان على أهمية عدم التكلف لما فيه من حكمة لإيجاد العمل وتحسينه.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: " نُهِينَا عن التكلف"[2]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِفِينَ﴾[3]، وتعني من جعل لتبليغ الوحي لم يتكلف بما أمر به .

تحدث بشر أيضا عن ظاهرة اللحن ولزوم الابتعاد عنها وهذا بتأثره بالقرآن، فاللحن في القرآن الكريم حرام، فالله أنزل القرآن بالتجويد وبالترتيل، والحكمة في ذلك للابتعاد عن اللحن المذموم فيه، وقال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[4]، ولهذا ينبغي للقارئ أن يتجنب اللحن فإذا برأ منه عُدَ من أهل الإتقان.

1- البقرة: 285.

2- رياض الصالحين – للإمام الحدّث الفقيه محي الدّين بن شرف النووي . تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الجبلي الأثري، رقم الحديث: 1664، باب النهي عن التكلف- وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه، ط\1، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، 1421هـ، ص: 551.

3- سورة ص :الآية 86.

4- سورة الزمر:الآية 28.

واللحن في الأحاديث النبوية الشريفة يعد كذب وافتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم إذا حُدِثَ عنه باللحن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[1] ويدور معنى الحديث حول أنه إذا نسب قول إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يقله فهو كذب متعمد عليه، والكذاب هذا مصيره النار، فهي مقره ومسكنه، لأن الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ينجم عنه تخريب وتبديل الدين.

وعرض بشر بن المعتمر إلى تجنب ظاهرة التعقيد أيضا وهو ما ذهب إليه سابقيه من الصحابة المسلمين، فعن معاد بن جبلة رضي الله عنه قال: " قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة..." [2] يتبين في هذا القول أن هذا الصحابي الجليل بعد دخوله الإسلام، يبحث على عمل يدخله إلى الجنة بعيدا عن أي تعقيد كلامي أو فلسفي، وحرصه على الإسلام العملي وإدراكه بالفطرة، فالامتحان العملي هو الذي يؤدي إلى النجاح في امتحان الدنيا .

وقد استعمل بشر بن المعتمر لفظ "أراغ" في صحيفته بمعنى أراد وطلب، ووردت كلمة "راغ" في القرآن الكريم ثلاث مرات فقط، وذلك في قوله عز وجل: ﴿ فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.[3]

وقوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾[4]. وفي موضع آخر بقوله تعالى:﴿ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾[5]، حيث أتى لفظ "راغ" في المواضع الثلاث بمعنى اقبل أو مال خفيةً سرًا يدور

1- صحيح مسلم- للإمام أبي الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث:03، باب تغليظ الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم، ج:1، ط\1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1412هـ\1991م ص:10.

2- سنن ابن ماجة – أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث: 3973، باب كف اللسان في الفتنة، ج:1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دت، ص:1314.

3-سورة الصافات :الآية 91.

4- سورة الصافات :الآية 93.

5- سورة الداريات :الآية 26.

معنى الآية :﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾، أي أنه مال خفيةً وسرًا بسرعة وخفاء عن ضيوفه دون أن يحسوا واعد لهم عجلاً مشوياً، وفي قوله: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينَ﴾، أي أقبل عليهم بالتحطيم والضرب دون تردد، وتأتي لفظة "راغ" أيضا بمعنى اختفى عن الأنظار سراً أو زَاغَ. ولاحظنا أن الآيات الثلاث التي وردت فيها كلمة "راغ " جميعها تتعلق سيدنا إبراهيم عليه السلام فهو من أولي العزم من الرسل ولفظة "راغ" مشحونة بمعاني القوة والخفة للإنجاز والأداء والقدرة، سواء كان ذلك في القيام بفعل تحطيم الأصنام، أو بمحاربة الكفار دون خوف وتردد أي بقوة وعزم، أو في تجهيز الطعام للضيوف .

ومن هنا فان لفظ " أراغ " في الصحيفة تختلف في معناها ومدلولها عن لفظة "راغ" في القرآن الكريم.

أما في قضية اللفظ والمعنى التي تطرق إليها بشر في صحيفته يظهر تأثره بالقرآن الكريم في انسجام ألفاظه ومزاوجتها مع المعاني ، ففي القرآن سمة واضحة للتصوير الجمالي للدلالات وملمح أسلوبي متفرد ذي خصوصية مميزة، والأسلوب البياني فيه بلغ حد الإعجاز، وله تأثير نافذ في النفوس باختراقه أعماقها، فينفد إلى القلب ويهزه، ويرقق الوجدان. وهذا راجع إلى تآلف الألفاظ مع المعاني فيه، فيعطي وحدة في التعبير ويظهر الجانب الجمالي فيه، بحيث يظهر التكامل بين اللفظ والمعنى على أنه اندماج في النسق والدلالة. و هذا كأن الألفاظ أتت متآخية مع المعاني، وأنها قطعة منها، وجمال التعبير في القرآن الكريم لا يكمن في توالي العبارات والألفاظ بالسرد، لأنه لا يدل على الروعة في الأداء أو جمال في ذاته، بل يتحقق جمال التعبير من خلال التآلف في المعاني والتناسق هي الدلالة، فليس للألفاظ جمالية خاصة بها بعيدا عن المعنى وبهذا لا يفضل أحدهما على الآخر واللفظ لا تكمن بلاغته وفصاحته في ذاته منفردا من المعنى و أنما حسنها وجمالها يظهر في انسجامها مع المعنى وتآلف دلالاتها، ولكل لفظ قراني معناه الخاص به، دقيق الدلالة والسياق وهذا ما حث عنه بشر بن المعتمر عنه في صحيفته.

يمنح بشر بن المعتمر للمتكلمين السبيل الأمثل والأنجع لتوصيل المقصود من كلامه وذلك بتأثره بالقرآن حيث أنه أقتبس منه، في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَهوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[1]، وهذا راجع للطف الله سبحانه وتعالى بعباده الضعفاء أنه ما أرسل رسولا إلا بلسان قومه أي بلغة قومه التي يتحدثون بها، وهذا ليبين لهم ما يحتاجونه وما يجب عليهم وما يحق لهم في دينهم، ويستطيعون من تعلم الرسالة التي جاءهم بها فيسهل الأمر عندهم، حين ذلك بخلاف ما لو كان الرسول على غير لغتهم ففي ذلك مشقة لهم، فيحتاجون إلى أن يتعلموا تلك اللغة التي يخاطبهم بها لكي يفهموا عليه، وإن لم يفهموا واستصعبوا ذلك فإنهم لا محال سينفرون منه. وهذا ما تحدث عنه بشر بن المعتمر ولمح له في الصحيفة.

أورد بشر في ختام صحيفته مجموعة من المصطلحات المستحدثة لم تكن واردة في لغة العرب قديما، مقتبسا إياها من القرآن الكريم، فمصطلح "عَرَضَ" ورد في عدة مواضع في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾[2]، وجاء لفظ "عَرَضَ" بفتح الراء في هاته الآية للدلالة على أن متاع الدنيا عرضًا، أي أنها زائلة وفانية فالعَرَضَ صفة دالة على الزوال، خلاف الجوهر الموصوف بالدوام والبقاء.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُلُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾[3]، لفظ "عَرَضَ" هنا الأصل فيه المال فكانوا يأكلون الأموال بغير حق، ﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾ معناها أن كل شيء يعرض أمامهم من الرشوة والرب، إذا حصلوا أي شيء من المال يأخذونه بغير حق ويقولون سيغفر لنا إما أن يتوبوا توبة غير نصوحة لا يصدقون فيها، لأنهم ما إذ أتاهم عرض آخر مثله أخذوه أو لم يتوبوا أصلا.

1- سورة إبراهيم :الآية 04.

2-سورة النساء:الآية 94.

3-سورة الأعراف:الآية 169.

وقد جاء لفظ "عَرَضَ " أيضا في موضع آخر في سورة النور، بقوله تعالى: ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَيَاةِ الدُنْيَا﴾[1] والمقصود هنا ب " عَرَضَ " يعني المال، ويدور مفهوم الآية حول لتطلبوا مال الدنيا، فهي عَرَضَ يأتي ويزول.

وفي قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2]، جاء لفظ "عَرَضَ" في الآية عرض الدنيا بمعنى حطامها من مال سواء كان كثيرا أو قليل، أي الذي لا مصلحة فيه تعود على الدين.

أما في الحديث النبوي الشريف قد ورد مصطلح "عرض"، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس "[3] جاءت كلمة عرض في هذا الحديث بمعنى المال والدراهم ودنانير الذهب والفضة، و هنا الرسول صلى الله عليه وسلم يبين أن الغنى ليس في كثرة الدراهم بل في غنى النفس بقناعتها.

بينما مصطلح الجوهر قد ورد في قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: "...ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[4] ومعنى الحديث هو أن الجسد يحوي جزءا ثابتا في الإنسان لا يتغير وهو القلب الذي يعتبر الجوهر، وما يتغير صفتي الصلاح والفساد ويمثلان العرض عليه.

1- سورة النور:الآية 33.

2-سورة الأنفال :الآية 67.

3- رياض الصالحين – للإمام الحدّث الفقيه محي الدّين بن شرف النووي. تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الجبلي الأثري، رقم الحديث: 527، باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة، وإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة، ص: 244

4- حديث نبوي شريف، 1443هـ، علوي بن عبد القادر السقاف، dorar.net: https.

ومصطلح "أَيْسْ" ورد بالمعنى في قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَّ يُوقِنُونَ ﴾[1] في الآية يخاطب الله العقل يجعله يتدبر في الخلق، فالخلق هو الوجود أي معنى من معاني أَيْسْ.

أما مصطلح "ليس" ورد في آيات كثيرة ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾[2]، ذكر الله تعالى لفظة "ليس" في هاته الآية لتبيان أنه ما من أحد له علم بيوم القيامة غير الله سبحانه وتعالى، وأن القيام لا يكشفها أحد من آلهاتهم ولا ينجيهم غير الله تعالى، فالعلم لله .

ووردت أيضا في قوله تعالى:﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[3] وفي هاته الآية أتت لفظة "ليس" ليبين الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه ليس عليك هداهم أي بمعنى أنه نفي عليه هدى الناس، لأن الهداية بيد الله عز وجل فهو يهدي من يشاء، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

ومصطلح البطلان من باطل وصيغها قد وردت في القرآن الكريم أربعة وثلاثين مرة بصيغ متعددة لهي:

- ✓ الفعل الماضي: (بطل) وردت مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ فَوَقَعَ الحَقُ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]
- ✓ الفعل المضارع: (يبطل) وردت أربع مرات ومثال ذلك في قوله عز وجل : ﴿ لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المجْرِمُونَ ﴾.[5]

1-سورة الطور:الآية 35-36.
2- سورة النجم :الآية 58.
3-سورة البقرة:الآية 272.
4- سورة الأعراف :الآية 118.
5-سورة الأنفال:الآية 08.

✓ اسم الفاعل: (الباطل) وردت تسعة وعشرون مرة مثال عن ذلك قوله عزى وجل: ﴿ إِنَ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾،[1]وفي قوله تعالى أيضا: ﴿ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ وَالبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾،[2] وفي جميع المواضع يدور معنى كلمة باطل في القرآن الكريم على ما لا دوام له ولا تباث له، أي الزائل.

أما لفظ " التلاشي " ورد بالمعنى في قوله عز وجل: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٍ عَلَى عُرُوشِهَا... ﴾[3]، فالقرية عبارة عن تجمع سكاني، والمقصود في الآية بخاوية على عروشها أي خلت خلوا تاماً من السكان، وهدا ما حطم ودمر كيان القرية وجعلها تتلاشى.

بينما مصطلح الهوية الذي أورده بشر في صحيفته، ورد معناه في القرآن الكريم في الآية المباركة التي تتحدث عن الهوية الاجتماعية للفرد، في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[4]، من الآية يتبين أنه للإنسان هوية قومية قي قوله " شُعُوبًا" وذا هوية قبلية في قوله "قَبَائِلَ"، يعترف بها الدين الإسلامي وجعلها طريق لتحقيق الهدف الأسمى ألا هو التعارف، وبقوله تعالى " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" تطرح الهوية الحقيقية والمقياس للإنسان.

وفي قوله تعالى:﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلَامَ دِينًا﴾[5]، في هاته الآية إبراز للهوية الدينية الإسلامية وهي ما يميز المسلم عن غيره، فقوام هويته هو عقيدته وإسلامه.

1-سورة الإسراء :الآية 81.
2- سورة الرعد:الآية 17.
3-سورة البقرة :الآية 259.
4- سورة الحجرات:الآية 13.
5-سورة المائدة :الآية 03.

دراسة الصحيفة من الناحية الصوتية:

1. الجهر والهمس:

تتكون اللغة العربية في أبجدياتها من ثمانية وعشرون حرفا أبجديا، حيث يمكن تصنيفها من الناحية الصوتية إلى صنفين مختلفين حسب مخارجها، أولها أصوات المجهورة وثانيها الأصوات المهموسة.

فالجهر هو وجود قوة في الصوت ما يجعله واضحا وبارزا في الأسماع، ففي هاته الحالة تقوم الأوتار الصوتية بالاقتراب من بعضها ما يؤدي إلى انقباض فتحة المزمار، فَبِانْدِفَاعِ الهواء تهتز هذه الأوتار اهتزازا منظما محدثة صوتا تتباين شدته حسب الاهتزازة الواحدة. والحروف العربية المجهورة في مجموعها خمسة عشرة حرفا لهي (ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي) .

بينما الهمس فهو خروج النفس عند النطق بالحرف وجريانه، حيث يكون مصحوبا بصمت الوترين الصوتيين أثناء النطق بالصوت، فلا يهتزان أي ليس لهما رنين، حيث تكاد لا تدركه الأذن لولا وجود دبدبات التنفس. أما الأصوات المهموسة فعددها اثنا عشر صوت وهي (ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، ه) حيث تم تلخيصها لتسهيل حفظها في عبارة " سكت شخص فحثه".

من المعروف أن اللغة العربية القديمة كان الجهر فيها أكثر استعمالا من الهمس وهذا ما يتجلى في صحيفة بشر بن المعتمر ومن الأمثلة المقتبسة من الصحيفة المؤكدة لذلك ما يلي: في قوله "خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك..." [1] فعدد الأصوات المجهورة أكبر من عدد الأصوات المهموسة في كامل الصحيفة، لأنها تعليمية، وكما هو معروف أن التعليم يتطلب أسلوب إقناع وهذا الأخير يعتمد على القوة وليس الليونة .

1- البيان والتبيين – الجاحظ . ص: 135.

2. السجع في الصحيفة:

يعتبر السجع توافق لأواخر الكلمات في أواخر الجمل التي تسمى الفاصلة، وقد كانت الصحيفة غنية ومليئة بهذا النوع من المحسنات اللفظية المستعملة في اللغة العربية، نستخرج الأمثلة التالية: "خذ من نفسك، ساعة نشاطك، وإجابتها إياك "[1]، يتبين أن حرف الكاف هنا هو المكرر في آخر هاته الجمل وبالتالي فهو سجع، وفي موضع آخر في قوله: " إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت"[2] وفي هذه الحالة يسمى السجع هنا بالسجع المتوازي، حيث اتفقت فواصله في الوزن، أي أن الفاصلتين قصدت وأردت اتفقتا في الوزن. وكذا في عبرة " فغن أمكنك أن تبلغ بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك"[3] وعبارة " التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفوا عن الأكفاء"[4] وفي مثال آخر " وتجد اللفظ لم تقع موقعها، ولم تصل إلى قرارها، وإلى حقبها من أماكنها المقسومة لها، والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقة في مكانها نافرة من موضعها"[5].

يكمن الغرض من السجع في إعطاء جمالية للكلام وتحسينه، مع منحه نغماً موسيقياً يؤثر في نفس السامع ويطربه، مع إبعاد الملل عنه.

وإلى هنا نصل إلى ختام المبحث الرابع " جماليات صحيفة بشر بن المعتمر " وبهذا نبلغ إلى ختام الفصل الثاني "المستوى البلاغي للتعليمية في صحيفة بشر بن المعتمر وجمالياتها " لننتقل إلى وضع خاتمة للبحث.

1- البيان و التبيين – الجاحظ. ص: 135.
2- (م .ن): ص: 136.
3- (م. ن) : ص :136.
4- (م.ن): ص: 136,
5- (م . ن): ص:138.

خاتمة:

من المعلوم أن لكل بداية نهاية، وخير الكلام ما قل ودل، وأرقى العمل ما حسن ختامه وبعد جهدنا ومثابرتنا في بحثنا هذا توصلنا إلى مجموعة من النتائج المتمثلة في:

- تهتم البلاغة بتصوير المعاني وفق أسلوب يستحسن في أسماع المتلقي، ليدركها.
- بدأت البلاغة كملاحظات مرت بمراحل لتصل إلى استقرارها كعلم قائم بذاته.
- وردت صحيفة بشر بن المعتمر في المرحلة الثانية من تطور البلاغة.
- تعد صحيفة بشر صحيفة تعليمية ملمة بالكثير من القضايا ذات الطابع الفلسفي.
- الحوافز الأولية عند بشر في التعليم والإبداع معا هي إجابة النفس مع حسن اختيار الوقت واغتنامه.
- تؤدي الظواهر اللغوية (اللحن، التوعر، التعقيد) ، إلى إتلاف المعاني وتشويه الألفاظ وهذا حسب صحيفة بشر بن المعتمر، فلا يصل المقصود وبهذا لا يتحقق التعلم.
- من صحيفة بشر في تعليمه للفتية صلة المعنى باللفظ تتضح العلاقة بينهما، علاقة تكامل لا يصح الفصل بينهما، ولا إعلاء طرف على آخر.
- المتكلمون عند بشر ثلاث منازل تتفاوت بتفاوت قدراتهم الإبداعية.
- مدار البلاغة عند بشر أن الكلام الفصيح يطابق مقتضى الحال مع مراعاة حق السامع.
- المصطلحات الواردة في ختام الصحيفة مصطلحات فلسفية بامتياز، تخدم التعليمية والإبداع معا.
- تحتوي صحيفة بشر بن المعتمر العديد من المحسنات البديعية التي أعطتها جمالا ورونقا أما من الناحية الصوتية فكان الجهر غالبا فيها .

ومن هنا ها نحن تختم بحث تخرجنا بكل همة ونشاط، وبتوفيق من الله عز وجل نحمده ونشكره على نعمة العقل في التفكير به، ونتمنى أن نكون قد وفقنا في تسليط الضوء على جميع جوانب البحث الهامة، وأن يكون قد نال إعجابكم، ونشكركم على سعة صدركم وصبركم معنا.

ونكون قد فتحنا المجال للقارئين والباحثين بعدنا لتقديم المزيد من الأفكار المتعلقة بهذا الموضوع ودراسته من نواحي أخرى، بكتابة المزيد من الأبحاث ينتفع بها من سعا ليها، والله ولي الأمر والتوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى و بركاته.

فهرست المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع).
2. البلاغة العربية بين التقليد والتجديد- د .محمد عبد المنعم خفاجي ود. عبد العزيز شرف.ط:1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ\1992م.
3. البلاغة العربية: تاريخها، مصدرها، منهجها – د. علي عشري زايد. مكتبة الشباب، مصر 1982م.
4. البيان والتبيين – الجاحظ. تحقيق: عبد السلام هارون، ج:1، ط:1،مطبعة الخانجى، مصر 1395هـ\1982م.
5. تاج العروس – الحافظ محمد مرتضى الزبيدي. تحقيق: إبراهيم الترزي، مج:1، ط1، دار الفكر، بيروت، 1414هـ\1993م.
6. تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم – محمد بن إبراهيم بن جماعة.دار الكتب العلمية،بيروت، دت.
7. التربية والتعليم – روبير دونترانس. مكتبة لبنان الناشرون، لبنان، 1966م.
8. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد – ابن مالك. تحقيق : محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، 1387هـ\1967م.
9. التعريفات – الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسني الجرجاني الحنفي. تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط:2، دار الكتب العربية، بيروت، 1413هـ\1992م.
10. التعريفات – الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسني الجرجاني الحنفي. تحقيق : محمد باسل عيون سود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2020م.
11. التعريفات- الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسني الجرجاني الحنفي. تحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، دت.

12. الجامع الكبير- محمد عيسى الترميذي. تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الغريب الإسلامي، 1996.
13. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع – أحمد هاشمي. دار الفكر، بيروت – لبنان، دت.
14. الحيوان- الجاحظ. تحقيق: عبد السلام هارون، ج:3، ط:3، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1969م.
15. الخصائص- ابن جني. تحقيق: علي النجار، ج:1، دار الكتب المصرية، مصر، 1952م.
16. الرائد-جبران مسعود. ط:7، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1982م.
17. رسائل الجاحظ – الجاحظ، تحقيق:طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م.
18. رسائل الكندي الفلسفية – يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي. تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريده، ج:1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1369هـ\1950م.
19. رياض الصالحين – للإمام الحدّث الفقيه محي الدّين بن شرف النووي. تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الجبلي الأثري، ط1، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية 1421هـ.
20. سنن ابن ماجة – أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ج:1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دت.
21. الشعر و الشعراء- ابن قتيبة الدينوري. ط:6،دارإحياء العلوم، بيروت-لبنان،1997م.
22. صحيح الأدب المفرد – محمد ناصر الدين الألباني. ط4، مكتبة الدليل، المملكة العربية السعودية، 1418هـ \ 1997م .
23. صحيح الترغيب والترهيب – محمد ناصر الدين الألباني.ج:3، ط:1، مكتبة المعارف الرياض-السعودية، 1421هـ\2000م.
24. صحيح مسلم- للإمام أبي الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج:1، ط\1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1412هـ\1991م.

25. الصناعتين الكتابة والشعر- أبو الهلال العسكري. تحقيق: د.مفيد قميحه، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،1981م.

26. العمدة – ابن رشيق القيرواني. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج:1، دار الجيل بيروت، 1401هـ\1981م.

27. العين – الخليل بن أحمد الفراهيدي. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مج:4، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1421هـ\2003م.

28. فن البلاغة – د. عبد القادر حسين. دار غريب، القاهرة، 2006م.

29. لسان العرب – ابن منظور. تحقيق: نخبة لهم (عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي)، مج:1، دار المعارف، القاهرة-مصر، دت.

30. اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب – د. الأخضر جمعي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، 2001م.

31. مختصر صحيح البخاري- د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري.ط:1، دار اشبيليا الرياض- السعودية، 1423هـ\2002م.

32. المستصفى من علم الأصول- أبو حامد الغزالي. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1413هـ\1993م.

33. المعجم الفلسفي – د. جميل صليبا. ج:2، دار الكتاب اللبناني، بيروت- لبنان، 1982م.

34. معجم الوسيط- مجمع اللغة العربية (إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار). ج:1، ط:4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1439هـ\2008م.

35. المفصل في علوم اللغة (اللسانيات) – د.محمد التونجي والراجي الأسمر. تحقيق: إميل يعقوب، مج:1، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

36. مقاييس اللغة – أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام هارون، مج:5 ط:1، دار الجيل، بيروت، 1411هـ\1991م.

37. المقدمة – ابن خلدون. ط:4، دار القلم ، بيروت – لبنان، 1981م.
38. الموجز في تاريخ البلاغة – د. مازن المبارك. دار الفكر، دمشق–سوريا، دت.
39. الوافي في التدريس (سلسلة المربي 01)–بن دريدي فوزي، دار الهدى،الجزائر، دت.
40. الوجود والماهية والجوهر – بول ريكور. ترجمة :(فتحي انقزّو ومحمد بن ساسي وحبيب الجربي ومحمد محجوب)، ط:1، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2012م.
41. الوساطة بين المتنبي وخصومه – القاضي الجرجاني. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة–مصر،1951م.

المواقع الإلكترونية:

1. حديث نبوي شريف، 1443هـ، علوي بن عبد القادر السقاف، https:dorar.net.
2. معجم الغني – عبد الغاني أبو العزم. 23 مارس 2020م، موقع: المكتبة الشاملة، رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: 3083، https:shamela.org .
3. نظريات التعليم السلوكية – علي راجع بركات. 20 يناير 2004م، موقع: مكتبة النور www.noor-book.com.

فهرست الموضوعات:

الموضوع	الصفحة

❖ الإهداء.

❖ كلمة شكر وتقدير.

❖ مقدمة.....أ.

❖ مدخل: ماهية البلاغة اصطلاحا وتطورا.....1.

❖ الفصل الأول: المستوى اللغوي للتعليمية في صحيفة بشر بن المعتمر.....7.

❖ الفصل الثاني: المستوى البلاغي للتعليمية في صحيفة بشر بن المعتمر وجمالياتها...24.

❖ خاتمة.....55.

❖ فهرست المصادر والمراجع.....58.

❖ فهرست الموضوعات.....63.

ملخص:

في بحثنا "التعليمية في صحيفة بشر بن المعتمر (ت:210 هـ)"، هي دراسة تحليلية وصفية للصحيفة حيث يهدف البحث هذا إلى تحليل القضايا اللغوية البلاغية فيها وربطها بالجانب التعليمي، وعرضنا إلى ذكر بعض من جمالياتها، وهذه الدراسة تهدف إلى إحياء الصحيفة والتذكير بها بين الباحثين والطلبة، فنريد الوصول من خلالها إلى الإجابة عن الإشكالية التالية: ما هي الأسس التعليمية في صحيفة بشر بن المعتمر ؟ معتمدين في ذلك على منهج تكاملي (وصفي، تحليلي، تاريخي).

الكلمات المفتاحية: الصحيفة، التعليمية، بشر بن المعتمر، البلاغة، التعقيد، اللفظ والمعنى، المقام.

Résumé :

Dans notre recherche la pédagogique sur le journal de bishr bin el-muetamir (d:210), il s'agit d'une étude analytique et descriptive du journal, ou la recherche vise à analyser les enjeux linguistique et rhétoriques qui se trouvent et à les relier à la aspect pédagogique ,et nous avons présenté a mentionner une partie de son esthétiques, et cette étude vise à faire revivre le journal et à rappeler aux étudiants et chercheurs, nous voulons passer trouver une solution des problèmes suivants :quelles sont les fondations dans le journal de bishr bin el_muetamir ? S'appuyer sur une approche intégrative (descriptive, analytique, historique).

Les mots clés : le journal, éducatif, bishr bin el_muetamir, rhétorique, complexité, prononciation et sens, el-maqam.

Summary :

In our educational research on newspaper of bishr bin-el muetamir , it is an analytical and descriptive study of a newspaper, where this research aims to analyze the linguistic and rhetorical issues in it and link them to the educational aspect, and we presented to mention some of its aesthetics, and this study aims to revive the newspaper and remind it among researchers and students, so we want to reach through it the answer to the following problems: what are the educational foundations in bishr bin el_muetamir newspaper ? relying on an integrative approach (descriptive, analytical, historical).

Keywords: newspaper, educational, rhetoric, complexity, pronunciation and meaning, maqam.